من المسرح الأمريكى

بلدتنا

مسرحية من ثلاثة فصول

من المسرح الأمريكى

بلدتنا

مسرحية من ثلاثة فصول

تأليف

ثورنتن وايلدر

ترجمة

د. محمد السعيد القَن

مراجعة وتقديم

د. نهاد صليحة



الناشر

الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية

١٠٨١ شارع كورنيش النيل ــ جاردن سيتى

حقـــوق النشـــر

الطبعة العربية الثالثة (٢٠٠٣): حقوق الطبع والنشر © محفوظة للناشر

الطبعة العربية الأولى ١٩٥٤الطبعة العربية الثانية ١٩٥٧

الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية

١٠٨١ شارع كورنيش النيل - جاردن سيتى - القاهرة

ت ٧٩٤٥٠٧٩ فاكس ٧٩٤٠٢٩٥

Copyright © for the third Arabic edition (2003)by the
Egyptian Society for the Dissemination of Universal Culture and Knowledge
(ESDUCK)
1081 CORNICHE EL NIL, GARDEN CITY, CAIRO
Tel: 7945079 Fax : 7940295

مقدمة

كتب ثورنتن (نيڤن) وايلدر (١٨٩٧-١٩٧٥) مسرحية بلدتنا عام ١٩٣٨، وحصل بها على جائزة بوليتزر المرموقة فى الآداب فى نفس العام. ومنذ ذلك التاريخ البعيد، ظلت المسرحية تتمتع بجاذبية لا تخبو وشعبية واسعة بين جماهير المسرح، بل وفنانيه أيضاً. ففى شهر يونيو من العام الماضى، قام الممثل السينمائى العالمى «بول نيومان» بأداء دور مدير خشبة المسرح، فى أحدث عرض للمسرحية فى الولايات المتحدة، وقامت بإنتاج هذا العرض زوجته «جون وودوارد» - وهى ممثلة عالمية أيضاً - لمسرح «وست بورت كانترى بلاى هاوس»، الذى تولت حديثاً منصب مديرته الفنية. وقد حقق هذا العرض، الذى أخرجه «جيمس نوتون» نجاحاً جماهيرياً هائلاً، مما جعله ينتقل إلى «برودواى»، حى المسارح الشهير فى مدينة «نيويورك»، حيث افتتح فى مسرح «بوث» يوم الأربعاء الموافق ٤ ديسمبر، ٢٠٠٢.

وبهذا العرض، عاد «بول نيومان» إلى «برودواى» بعد غياب دام أربعين عاماً. وعن سبب حماسه لأداء هذا الدور، الذى يعتمد أساساً على السرد، ولا يعد بأى حال من الأدوار البراقة أو المركبة التى تستهوى النجوم أو عمالقة التمثيل، يقول «نيومان» (فى حوار صحفى أجراه «روبين بوجريبين»، ونشر فى صحيفة «الهيرالد تريبيون الدولية» عشية افتتاح المسرحية فى «نيويورك»): «إن الأفكار التى تطرحها المسرحية قد وجدت صدى عميقاً فى نفسى، فالمسرحية تثير أسئلة هامة حول علاقتنا بالزمن، وكيف ننفق

أيامنا، وماذا نفعل بالوقت. إنها تتحدث عن الأشياء التى ينبغى أن ننتبه إليها، ونهتم بها، لكننا عادة ما ننسى أن ننظر إليها». وتشاركه زوجته هذا الحماس قائلة: «إنها أشبه بالخبطة على الرأس التى تجعلك تفيق. فحين تشاهدها لا تملك إلا أن تقول: «نعم.. بالطبع». ويؤكد «نيومان» أيضاً إن أكثر ما يعجبه فى المسرحية هو «طبيعتها الديمقراطية»، فهى لا تركز الأضواء على شخصية بعينها باعتبارها الشخصية الرئيسية. «إن دور مدير خشبة المسرح» كما يقول، «ليس دور بطولة بالمعنى الشائع، فالمسرحية ليس بها أبطال، وجميع الأدوار فيها تتمتع بنفس الأهمية. وأنا أعشق هذا النوع من المسرحيات». ولعل ما حبب «نيومان» فى هذا الدور أيضاً أن «وايلدر» نفسه قد قام بتمثيله فى نفس هذا المسرح الإقليمى ـ «مسرح وست بورت كانترى بلاى هاوس» ـ عام ١٩٤٦، مما يشكل تحدياً مثيراً للنجم العالمى.

ومنذ ظهور المسرحية عام ١٩٣٨، اتفق النقاد على اعتبارها من عيون المسرح العالمى، وتوفروا على شرح بنيتها الفنية ومعناها، وعلى التحليل المفصل لأسلوب «وايلدر» فى توظيف موسيقى اللغة وإيقاعاتها، والتنويع على التيمة الواحدة، وتكثيف الحوار، وانتهوا إلى أن هدفها النهائى هو أن تذكرنا فى نعومة ورقة بتلك الحقائق العميقة التى ترقد تحت سطح الحياة اليوميه الرتيبة، وأن «وايلدر» يحقق هذا الأثر بذكاء فنى باهر.

فمسرحية بلدتنا تبدو فى ظاهرها أشبه بفيلم وثائقى، يقدم صورة تفصيلية لحياة بلدة أمريكية صغيرة فى بداية القرن العشرين، فى السنوات ما بين ١٩٠١ و ١٩١٣، وهى بلدة «جروفرز كورنرز»، لكنها فى الواقع، تركز على حياة أسرتين نموذجيتين، هما أسرة السيد «ويب» محرر صحيفة البلدة، وأسرة الدكتور «جيبز»، طبيبها، وتطرح فى إطار صورة الحياة اليومية للأسرتين العلاقة بين طفليهما «جورج» و «إميلى»، وهى

علاقة تبدأ بالألفة والصداقة فى الطفولة، وتتطور إلى الحب فى المراهقة، ثم إلى الزواج بعد انتهائهما من المدرسة الثانوية، والانتقال للعيش فى مزرعة عم جورج، وتنتهى بموت «إميلى» فى ريعان الشباب وهى تضع طفلهما الثانى.

وتتكون المسرحية من ثلاثة فصول، يفصل بين الأول والثانى ثلاث سنوات، وبين الثانى والثالث تسع سنوات. وفى الفصل الأول يرسم لنا المؤلف عبر شخصية مدير خشبة المسرح / الراوى ملامح البلدة، وطبيعة الحياة فيها، وخصائص المجتمع البشرى الذى تضمه، والعلاقات التى تربط بين أفراده، ومهنة كل منهم، وهواياته، ونظامه اليومى، ويستدعى أحد الأساتذة الجامعيين ليشرح تاريخها، وتكوينها الجيولوجى والعرقى، وتعداد سكانها، ثم يطلب من السيد «ويب» أن يقدم تقريراً سياسياً/ اجتماعياً عنها، يرصد نسبة التعليم، والتوزيع الطبقى، والانتماءات السياسية، كما يتطرق من خلال أسئلة المتفرجين إلى المستوى الأخلاقى، والثقافى، ودرجة العدل الاجتماعى. وفى هذا الفصل تبدأ علاقة «إميلى» و «جورج» فى التحول من الصداقة إلى الحب، وينتهى الفصل فى جو رومانتيكى، يمهد للفصل الثانى، إذ يشرق القمر على البلدة، ويلفها فى غلالة من الجمال الفضى، تلهب الخيال، وتوقظ المشاعر النائمة.

ويبدأ الفصل الثانى صباح يوم زفاف «إميلى» و «جورج»، ويصور تأثير الحدث المتوقع على الأسرتين، ومشاعرهما المتضاربة إزاءه، وتأرجحهما بين الفرح والحزن الرقيق لرحيل الأبناء، وبين القلق عليهم لحداثة سنهم والحرج من الحديث إليهم فى الأمور الجنسية.ثم يقفز بنا الراوى فجأة إلى الماضى، حين يطلب من الممثلين الذين يقومان بدور «إميلى» و «جورج» أن يعرضا أمام الجمهور أحداث ذلك اليوم المشهود الذى صرح فيه كل منهما للآخر بعاطفته وتعاهدا على الزواج. وينتهى الفصل فى

الكنيسة، حيث يجتمع كل أهل البلدة لحضور عقد القران والاحتفال بالعروسين.

أما الفصل الثالث، وموضوعه الموت، فتدور أحداثه فى مقابر البلدة، يوم تشييع جثمان إميلى، مما يحدث صدمه فى نفس المشاهدين. إن نهاية الفصل الثانى لا تمهد لهذه النهاية الفاجعة، بل تجعلهم يتوقعون أن يشاهدوا شيئاً من حياة «إميلى» و «جورج» الزوجية. وبعد الجنازة، تنتقل المسرحية مع «إميلى» إلى عالم الأموات، حيث يقبعون فى انتظار تلاشى كل ما يربطهم بالحياة الدنيا.. الجسد والذكريات والمشاعر.. وذلك حتى «يتبدى الجانب الخالد فيهم» ـ أى الروح ـ «جلياً نقياً»، فى كلمات مدير خشبة المسرح / الراوى. وفى هذا الجزء، تزور «إميلى» الأرض للمرة الأخيرة، وتتأمل يوماً من حياتها السابقة، حين كانت فى الثانية عشرة من عمرها.

وتتولى شخصية مدير خشبة المسرح، الذى يقوم بدور الراوى، مهمة الربط بين الفصول، وكذلك الأحداث التى تتضمنها، ويشرف على إعداد المشاهد، وترتيب قطع الديكور البسيطة، كما يلعب دور الوسيط بين المسرحية والجمهورر، فيقدم الشخصيات، وينتقى الأحداث، ويعلق عليها، ويشرك الجمهور فى أفكاره وتأملاته، ويتوسل بذلك إلى انتظام الأحداث العادية التى يعرضها أمامنا فى سياق دلالى أكثر عمقاً ورحابة.

إن «وايلدر» يمزج فى حديث الراوى بين أزمنة الماضى والمضارع والمستقبل ليرصد تلك الأحداث والتجارب والرغبات البشرية التى ما تفتأ تتكرر رغم ما يطرأ على الحياة من تغير، بل ومن خلال هذا التغير نفسه. وتتسم هذه التجارب المتكررة بأنها عادية ومألوفة، وربما كان هذا ما يمكنها من السمو فوق التاريخ والثقافة، وتجاوز حدودهما إلى العالمية. لقد أكد «وايلدر»» أن قوة المسرحية لا تكمن «فى صدق

الأحداث التى تقدمها، بل فى تعاقب الأحداث وتواليها وانبلاج الفكرة»[1]. ويعنى هذا، أن الأحداث التى تصورها المسرحية لا تكتسب أهميتها من الثقل الفردى لأى منها أو جسامتها، بل من كونها أحداثاً عادية مألوفة، وهذا بالضبط ما يجعلها تبدو من خلال السياق الدلالى الميتافيزيقى الذى ينسجه الراوى حولها وكأنها ترتبط ارتبطاً وثيقاً بأنماط وتجارب عميقة تشمل الإنسانية بأجمعها.

إن الراوى يؤكد لنا خلود الروح فى بداية الفصل الثالث، وذلك حين يقول: «إننا جميعا نعرف أن شيئاً ما يبقى إلى الأبد ولا يفنى أبداً. وهذا الشىء ليس هو البيوت أو الأسماء، وليس الأرض، ولا حتى النجوم فى السماء. كلنا نعرف فى قراره أنفسنا، فى كل ذرة من كياننا، أن شيئاً ما سيبقى ويظل خالداً، وإن هذا الشىء يتعلق بالآدميين. ففى كل إنسان يوجد شىء خالد، يرقد بعيداً فى أعماقه».

لكن هذا اليقين بخلود الروح لا ينفى قيمة الجسد الفانى، وحياتنا على الأرض، كما قد توحى الكلمات خارج السياق الكلى للنص، بل يوظفه «وايلدر» بذكاء لينتج أثراً عكسياً، أى ليعمق إحساسنا بروعة الحياة، وقيمة لحظاتها العابرة، مهما كانت بساطتها. فالموت فى المسرحية لا يعنى بالنسبة لـ «إميلى» ـ أو لأى من الأموات ـ الانتقال إلى عالم الخلود فقط، بل يجعلها تدرك روعة الحياة الفانية، وتأسى لحال الأحياء الذين لا يدركون قيمة كل لحظة فيها، ويعمون عن وهجها. فهى حين تزور عالم الأحياء يؤلمها إدراكها هذا لغفلتهم، ويدفعها للعودة سريعاً إلى قبرها وهى تصيح فى شجن ولوعة:

«أيتها الأرَض! إن روعتك تفوق إدراك أى إنسان»، ثم تتساءل: «هل بمقدور أى

---

(١) انظر: P. J. Burbank, Thornton Wilder, 2 nd. edn., New York, 1978, p. 72.

بشر أن يعى روعة الحياة بينما يعيشها؟ أن يدركه فى كل لحظة؟»

إن كلمات إميلى هذه، التى تنطلق عفوياً فى حرارة وأسى وحنين جارف، تعارض حديث الراوى عن الخلود، وتنزع عنه سمته الإيجابية الواثقة، وتحيله إلى نوع من العزاء العاجز البارد عن فجيعة الموت والرحيل عن الدنيا. ومن الجدير بالذكر أن التصميم الزمنى فى المسرحية، الذى ينتقل بنا من طفولة «إميلى» و «جورج» فى الفصل الأول، إلى زواجهما فى الفصل الثانى، ثم يقفز فجأة فى الفصل الثالث إلى الموت والقبور، دون أن نرى شيئاً من حياتهما معاً ـ هذا التصميم الزمنى المبتكر، الصادم، يفجر فى المشاهد إحساساً عارماً بقصر الحياة وانقضائها فى لمح البصر.. بأنها ما تكاد أن تبدأ حتى تنتهى، مما يدعم كلمات «إميلى» ويضفى عليها مصداقية كاسحة.

والمسرحية رغم واقعيتها الظاهرية، والمسحة شبه الوثائقية التى توحى بها، تخالف تقاليد الدراما التقليدية والمسرح الواقعى بصورة جذرية، وتتخذ مساراً تجريبياً جريئاً (أو على الأقل كان هكذا وقت كتابتها)، فهى تتخلى عن عنصرى الحبكة والإيهام القائم على افتراض وجود حائط رابع يفصل بين الجمهور وخشبة المسرح، وتتبنى بناءاً يعتمد بالدرجة الأولى على ما يمكن أن نسميه «السرد المُمسرح» أو «المتمسرح» ـ أى السرد الشفاهى، الذى يتخلله «التشخيص» لبعض ما يروى، ويتوجه إلى جمهور من المستمعين/ المشاهدين. فمدير خشبة المسرح هنا، هو الراوى الذى يحكى ويشرح ويتأمل، ويستدعى الممثلين صراحة أمامنا لتشخيص بعض ما يرويه، ثم يصرفهم بعد انقضاء مهمتهم.

ورغم أن هذا النوع من البناء الدرامى يحتفظ لفعل السرد والتشخيص بعنصر «الآنية» ـ أى التحقق أمام جمهور فى «الآن وهنا» ـ ومن ثم بطبيعته المسرحية،

إلا أنه ينفى عن الأحداث المسرودة أو المشخّصة نفسها هذا العنصر بعينه ـ أى الإيهام بأنها تحدث أمامنا فى زمن المضارع المستمر ـ وهو الإيهام الذى تتأسس عليه الدراما الواقعية التقليدية. فالزمن المسيطر على الأحداث المروية هو الزمن الماضى، الذى ينصب جهد الراوى والممثلين فى حاضر العرض على استرجاعه عبر الحكى والتشخيص، دون أية محاولة من جانبهم لإيهام المتفرج بأنه يعايش الأحداث المروية أو المُشخّصة وقت حدوثها، أو يراها موضوعياً دون تدخل من أحد، ودون فاصل زمنى.

ويذكرنا بناء المسرحية فى هذا الصدد بفن الحكى الشعبى الشفاهى، الذى يقوم فيه الرواة/ الشعراء الشعبيون ـ خاصة رواة السيرة ـ باستحضار ماضى الجماعة عبر السرد، مع الأداء الانفعالى لبعض المقاطع الهامة باستخدام تعبيرات الوجه ونبرات الصوت وعضلات الجسم، بل وقوس الربابة أيضاً.

كذلك نجد هذا المزج بين الحكى والتشخيص بدرجة ما فى المسرحيات الشعبية المرتجلة، التى كانت تؤديها الفرق الجوالة فى الماضى ـ مثل «المحبظاتية» أو «الخلابيص»، حيث كان قائد جوقة التمثيل يستهل العرض بمخاطبة الجمهور، وتعريفه بموضوع المسرحية، وتقديم الممثلين والشخصيات، ثم يشارك فى تمثيل العرض، وقد يوقفه بين الحين والآخر ليشرح شيئاً للجمهور، أو ليجيب على تساؤلات أو تعليقات بعض أفراده، أو ليعلن الانتقال فى الزمان والمكان.

لقد كان «وايلدر» يبحث عن شكل فنى يمكّنه من التعبير صراحة، وبصورة مباشرة، عن فكرة وحدة التجربة الإنسانية فى أعماقها، مهما تنوعت أشكالها، ولم يكن غريباً أن يقوده هذا البحث إلى بناء درامى يقترب من بنية السرد الشعبى الشفاهى، وخاصة الملحمى منه ـ مثل السير والملاحم ـ وكان أمله فى هذا أن «يرتقى

بفن السرد إلى مرتبة أعلى وأقوى تأثيراً من الرواية أو القصيدة الملحمية»[٢]. ولذا، فقد جاءت مسرحية بلدتنا أقرب فى بنائها إلى الملحمية (بالمعنى القديم لا المعنى البريختى)، فهى تستخدم الحوار بين الشخصيات لا لتصور صراعاً متنامياً بين قوى متكافئة (أو غير متكافئة) محددة المعالم، يتصاعد فى حتمية مفتعلة إلى ذروة ما، عبر أحداث ترتبط بمنطق السببية، والدوافع المفهومة، بل تسعى لأن تقدم بانوراما لحياة مجتمع بأكمله ـ هو مجتمع بلدة «جروفرز كورنرز» الخيالية، من خلال لقطات متناثرة، تتجول فى الزمان والمكان، وشخصيات منوعة، وأحداث بسيطة، وتربطها جميعاً، كما تكمل الصورة عن طريق السرد والتأملات والمعلومات والحوار مع الجمهور.

إن مسرحية بلدتنا تخلو تماماً من الصراع التقليدى الذى يمكن حسمه. فالشخصيات كلها تعيش فى ود ووئام وتراحم، ولا يوجد أشرار أو مجرمون فى «جروفرز كورنرز»، ولا أحداث خارج المألوف والمعتاد، بل والتافه، كما لا توجد خيارات مصيرية ميحرة، أو آمال مهيضة، أو أحلام محطمة ـ اللهم إلا إذا اعتبرنا حلم «مسز جيبز» بالسفر إلى باريس حلماً محطماً! وإذا كان ثمة صراع فى المسرحية، فهو صراع الإنسان ضد الزمن، والتغيير المحتوم الذى يأتى به، ثم حقيقة الموت والفراق. فويللى لا يريد أن يكبر، وكذلك إميلى، و «مسز جيبز» يؤلمها رحيل ابنها عن البيت بعد زواجه، وكذلك «مسز ويب» ـ يؤلمها رحيل ابنتها. ولكن هذه هى سنة الحياة ـ أو كما يقول الراوى وهو يلعب دور القس الذى يعقد قران «إميلى» و «جورج» قبل نهاية الفصل الثانى : «كوخ صغير، ثم عربة طفل، ونزهات أيام الأحد فى السيارة الفورد، ثم الهجوم الأول لآلام الروماتيزم، ثم الأحفاد، ثم عودة الروماتيزم،

---

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

وأخيراً، فراش الموت وقراءة الوصية».

ولأن المسرحية تتخذ سنة الحياة موضوعها، وتجعل الطبيعة بطلها الخفى، الذى يحرك الأحداث دون أن نراه، كان من المحتم أن يكون الزمن المهيمن فيها هو الزمن الطبيعى الدائرى، الذى يتحرك فى دورات متعاقبة متكررة، دون بداية أو نهاية، مثل دورات الطبيعة وفصول السنة، ويفرز رؤية للعالم تقوم على علاقات محددة بين البشر والله والطبيعة ـ علاقات قوامها التسليم بسنة الحياة والإنصياع لها.

ويختلف هذا الزمن الطبيعى عما أسماه الناقد الروسى يورى لوتمان وغيره بالزمن التاريخى ـ أى الزمن الذى نحسبه بالساعة، ويتحرك فى خط مستقيم متصاعد، من بداية محددة إلى نهاية محددة ـ وهو الزمن الذى تتبناه الحبكة الدرامية التقليدية. وفى المسرحية، يتقاطع هذان النسقان من الزمن، مما يؤدى إلى انصياع الزمن التاريخى ـ زمن الحبكة ـ تحت نداء الزمن الطبيعى ـ كما هو الحال فى الأدب الشعبى الفطرى. فقصة «إميلى» و «جورج» تمثل خيطاً سردياً يسير فى خط متصاعد من الطفولة إلى الحب والزواج والإنجاب، لكنها لا تلبث أن تصطدم بالنسق الزمنى الطبيعى، الذى يحتم أن يقود الربيع إلى الصيف، ثم إلى الخريف فالشتاء، وهكذا دواليك، دون نهاية. ولا يهم هنا أن تموت «إميلى» أو «مسز جيبز» قبل الأوان، فهذا وارد فى سنة الطبيعة، وكلاهما تترك ذرية تعد بتكرار الدائرة العبثية. ومع موت «إميلى»، ينحلّ خط الزمن التاريخى المحدود بحياة البشر، وينطوى تحت جناح الزمن الطبيعى، الذى يعد بتكرار القصة إلى ما لا نهاية. وهكذا، تصبح قصة «إميلى» و «جورج»، ومن قبلهما قصة «مسز جيبز» وزوجها، هى قصة كل البشر، ويغدون جميعاً، ومع البلدة وكل سكانها، نماذج متكررة لحياة البشرية جمعاء.

إن ما أسماه لوتمان بالزمن الطبيعى (فى مقابل الزمن التاريخى) ـ كما ذكرنا

سالفاً ـ هو الزمن المهيمن فى كل ألوان السرد الشعبى الذى يقوم بتنميط شخصياته فى نماذج أولية، بسيطة متكررة، كما ينمط المكان والزمان بحيث يصبحان «كل زمان وكل مكان» ـ و «كان ياما كان فى سالف الأزمان». واتساقاً مع بنية السرد الشعبى الشفاهى، التى تتبنى هذا الزمن الطبيعى، وتتقدم عبر التفرع المستمر، الذى يفضى إلى تراكم الدلالات ـ أى عبر تقاطع خيط سردى رأسى، مع دوائر سردية ودلالية أفقية، وهى البنية التى نلمسها فى البناء الدرامى فى المسرحية، جاء الشكل المسرحى فى بلدتنا أشبه ما يكون باللعبة المسرحية الشعبية، فهو شكل يتخلى عن الديكور التقليدى، ويتوجه إلى المشاهدين صراحة، باعتبارهم مشاركين فى اللعبة المسرحية، ويعتمد على مساهمتهم الإيجابية بخيالهم فى إنشاء اللعبة، وإكمال المنظر المسرحى، مما يذكرنا كثيراً بمسرح شكسبير، وكان هو أيضاً مسرحاً شعبياً. فالكتب التى تحملها «إميلى» وهمية، وكذلك الأكواب والأدوات والصحف والطعام، ومطبخ السيدة «ويب»، وحديقة السيدة «جيبز» ونباتاتها، ونافذة «إميلى» فى الطابق العلوى... إلخ، وعلى المشاهدين أن يعملوا خيالهم فى إكمال تفاصيل المشهد الذى لا يحوى فى الواقع سوى منضدة أو سلما أو بعض المقاعد. كذلك لا يلتزم الممثلون بحدود خشبة المسرح، بل يدخلون ويخرجون أحياناً من الصالة، بل ويجلس بعضهم بين صفوف المتفرجين.

وربما فسر لنا هذا التوصيف للبناء الدرامى والشكل المسرحى فى مسرحية بلدتنا (باعتبارهما يستلهمان ـ عن قصد أو دون قصد ـ أنماطاً سردية وأشكالاً مسرحية شعبية) سر شعبيتها الدائمة وجاذبيتها المستمرة. وربما فسر لنا أيضاً ما تعرضت له من مساءلة وتفكيك فى زمن ما بعد الحداثة. ففى أوائل الثمانينيات من القرن المنصرم، قدمت فرقة «ووستر جروب» الأمريكية، فى مسرح «برفورمنج جراج»

بنيويورك، عرضاً بعنوان طريق ١ و ٩ (الفصل الأخير)، بدأته بمحاكاة ساخرة لفيلم تعليمي عن مسرحية بلدتنا، أصدرته مؤسسة الموسوعة البريطانية، وقام فيه «كليفتون فايدمان» بتحليل المسرحية وشرح معناها، وشرع بعد ذلك في تعرية الحدود الضيقة لنظرة «وايلدر» إلى الملمح العالمي المشترك في التجربة الإنسانية، والسخرية منها عبر المحاكاة الجروتسكية، مستخدماً الاستعراضات القائمة على محاكاة الأمريكيين السود، ليجسد أمام المتفرجين ذلك «الآخر» الغائب، المنفي، أو النقيض المضمر، الذي يحدد مجتمع مدينة «جروفرز كورنرز» ملامحه في ظله، ومقارنة به. وتضمن هذا العرض أيضاً شريطاً إباحياً الهدف منه تعرية عنصر الكبت الجنسي الذي يستند إليه مجتمع «جروفرز كورنرز» ليحافظ على براءته، وهو العنصر الذي تلمح إليه المسرحية على استحياء في الفصل الثاني - الذي يدور حول الزواج - في بعض المناطق، وخاصة حين تخاطب السيدة «ويب» المتفرجين قائلة في حنق :

«إنها منتهى القسوة منا أن نترك بناتنا يتزوجون على هذا النحو! أرجو أن تكون بعض صديقاتها قد تحدثن معها في بعض أمور الزواج. إنها قسوة مني ألا أخبرها.. أعرف ذلك لكنني لم أستطع.. فأنا أيضاً لم أكن أعرف شيئاً حين تزوجت - تماماً مثل خفاش أعمى».

لقد حاولت فرقة «ووستر جروب» إعادة فحص النص من خلال طرحه في صور مختلفة، تتسم بالغموض وتثير الجدل والخلاف، وتقاوم أي تفسير سهل أو شرح مبسط، وكانت في هذا تنتقد افتراض المسرحية لنفسها الحق في طرح نظرة أحادية شمولية إلى التجربة الإنسانية، تنبذ كل من لا يتبناها، وتنفيه من الوجود، كما تنتقد رؤية «وايلدر» الضيقة المحدودة للولايات المتحدة، كدولة من المدن الصغيرة التي

تسكنها طبقة متوسطة من البيض. لقد حذفت إليزابيث لوكونت (مؤسسة الفرقة) من العرض شخصية مدير خشبة المسرح/ الراوى، واختارت الفصل الأخير من المسرحية، وقسمته مع الفرقة إلى مشاهد تشبه اللقطات المقربة، ولها مذاق المسلسلات التليفزيونية، مستعينة بالتليفزيون، بحيث اكتسبت المسرحية ملامح هذه المسلسلات، التى تتوفر على تصوير الأحداث اليومية العادية التافهة، وتسبغ عليها اهتماماً لا تستحقه، وتقرأ فيها معانى لا تحتملها(٣).

وسواء اتفقنا أو اختلفنا مع تفكيك فرقة «ووستر جروب» للبنية الأيديولوجية فى المسرحية، لا يملك المرء إلا أن يعترف بالنزعة الرومانسية المثالية التى تلون المسرحية، وتتجلى فى الإلحاح على فكرة الخلود، فى محاولة لتخفيف حقيقة الموت والفراق عن طريق استحضار الشخصيات المتوفاة أمامنا حتى نطمئن على موتانا، ونجد بعض العزاء عن فراقهم، كما تتضح فى عزل الصورة المقدمة عن مجتمع «جروفرز كورنرز» عن سياقها التاريخى، وإغفال «الآخر»، وكل عناصر التوتر البشرية المعتادة ـ من غيرة وحقد وتذمر، أو كراهية وكبت وإحباط. فالشخصية الوحيدة المحبطة فى المسرحية، هى عازف الأرغن «ستيمسون»، الذى يقضى حياته ثملا ثم ينهيها بالانتحار. لكن هذه القصة الفرعية تظل فى خلفية المسرحية باعتبارها الاستثناء الذى يثبت القاعدة، كما أن الجميع يتفهمون عذابه، ويساندونه، ويحاولون التخفيف عنه. وفى الحوار بين الراوى والجمهور، نعرف أن البلدة ليس بها سوى سكيرين آخرين، لكنهما دائماً فى حالة ندم ورغبة فى التوبة. ورغم أن البلدة لا تعرف من الثقافة الرفيعة إلا النذر اليسير ـ كما نعرف من نفس الحوار ـ فهى تزهو بثقافة فطرية

(٣) من أجل الحصول على وصف كامل للعرض، انظر: نك كاى، ما بعد الحداثة والفنون الأدائية، ترجمة نهاد صليحة، الألف كتاب الثانى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٩

أصيلة، قوامها الألفة مع الطبيعة، وعشق الطيور، والغناء.

إن النص يتظاهر أحياناً بأنه ينتقد نفسه من الداخل، ويشجب تجاهله المتعمد للجنس، وجهل أهل البلدة بالثقافة والفنون، وركود الحياة فى المجتمع الذى يطرحه كنموذج لحياة البشر جميعاً، إلا أن مسار الأحداث، بل وأقوال الراوى أيضاً، تميل إلى ضحد هذه الانتقادات، أو تنحيتها جانباً، وتجعلها أشبه باستراتيجية المبادرة بالهجوم كوسيلة دفاع، واستباق النقد لتحييده. فالحياة فى «جروفرز كورنرز» تمضى هادئة مهما حدث، والبشر يتقبلون أوضاعهم فى رضا وقناعة، ويعملون بكد وجلد لتوفير حياة آمنة لأطفالهم، كما يرعون جيرانهم وذويهم، وتتولى العناية الإلهية رعاية أمورهم الجنسية، وتتكفل بتسييرها، وتعوض جهلهم بها.

إن مجتمع «جروفرز كورنرز» كما يصوره «وايلدر» هو مجتمع عضوى متماسك، يعرف كل فرد فيه الآخرين بالاسم، بل ويعرف تاريخ حياتهم وانسابهم، كما يقول الراوى، ويؤكد كلامه «جورج» الذى يرفض أن يغادر البلدة حباً فى أهلها وولعاً بأحوال وتفاصيل الحياة فيها.

ورغم زحف المدنية عليها، واستخدام السيارات بدلاً من الجياد، وإغلاق الناس أبواب بيوتهم أسوة بأهل المدن الكبيرة، فإن نسق الحياة فى «جروفرز كورنرز» يظل ثابتاً إلى حد كبير ـ كما يؤكد الراوى.

ولأن هذا النوع من المجتمعات العضوية قد أوشك على الانقراض تماماً فى ظل المدنية والتطور التكنولوجى الذى أحال العالم إلى قرية صغيرة، فإن استحضاره يثير الحنين إلى الماضى، ويطرح هذا الماضى فى صورة مثالية، خالية من الشوائب، وكأنه الفردوس المفقود.

وربما كان هذا هو سبب استمرار نجاح المسرحية كلما عرضت، وكان أحد

أسباب نجاحها الباهر فى «برودواى» حديثاً. فالحنين إلى الماضى، وإلى الحياة الفطرية البسيطة، يعاود البشر دائماً فى أزمنة القلق والأزمات العاتية، حين يتحول الحاضر إلى كابوس ينشد الإنسان الهروب منه. وربما لهذا السبب ستظل مسرحية بلدتنا تتمتع بحب الجماهير، فهى فى مجموعها، وفى أثرها الكلّى، أشبه بمرثية رقيقة ـ مرثية للزمن الجميل.

الدكتورة نهاد صليحة

مارس ٢٠٠٣

شخوص المسرحية

(حسب ترتيب ظهورها فى المسرحية)

مدير خشبة المسرح

الدكتور جيبز

جو كرويل

هاوى نوسم

السيدة جيبز

السيدة ويب

جورج جيبز

ربيكا جيبز

وولى ويب

إميلى ويب

البروفيسور ويلارد

السيد ويب

امرأة فى مقاعد البلكون

رجل فى صالة الجمهور

سيدة فى اللوج

سايمون ستيمسون

السيدة سومز

الشرطى وارين

سى كرويل

لاعبو البيسبول الثلاثة

سام كريج

جو ستودارد

تدور وقائع أحداث هذه المسرحية كلها فى مدينة جروفرز كورنرز بنيوهامبشير (١٩٠١-١٩١٣).



الفصل الأول

بدون ستارة

وبدون ديكور أو منظر مسرحى

بينما يتوافد الجمهور على المسرح يسترعى انتباههم خشبة مسرح عارية يلفها ضوء ضعيف. يدخل مدير خشبة المسرح مرتدياً قبعته وغليونه فى فمه. يبدأ على الفور فى وضع منضدة وثلاثة كراسى فى مقدمة المسرح على اليسار، وكذلك مثلها فى مقدمة المسرح على اليمين. ثم يضع أيضاً مقعداً منخفضاً فى الركن الذى سيصبح فيما بعد منزل عائلة السيد ويب، وذلك على اليسار.

ويتم تحديد «اليمين» و«اليسار» هنا من زاوية نظر الممثل الذى يواجه الجمهور. أما «مؤخرة» المسرح فتمتد بطول الحائط الخلفى لخشبة المسرح.

ويتم إطفاء الأضواء فى الصالة تدريجياً، وذلك فى الوقت الذى يكون فيه المدير قد أتم إعداد وترتيب خشبة المسرح، ثم يتكئ على العمود الجانبى فى يمين مقدمة المسرح ليرقب من يصل متأخراً من المتفرجين.

وعندما يتم إظلام الصالة تماماً، يبدأ هو حديثه:

مدير خشبة المسرح :

اسم هذه المسرحية هو «بلدتنا». كتبها للمسرح ثورنتن وايلدر، وانتجها

واخرجها السيد (أ).. (أو انتجها السيد أ... وأخرجها السيد (ب)...). وفى هذه المسرحية ستلتقون بالآنسة (ج)... والآنسة (د)... والآنسة (هـ)... كما ستلتقون أيضاً بالسيد (و).. والسيد (ز).. والسيد (ح)... وآخرين كثيرين غيرهم. أما اسم البلدة فهو جروفرز كورنرز، وهى تقع فى مقاطعة نيوهامبشير، وذلك تحديداً فى الجانب الآخر من خط ماساتشوستس: وذلك على خط عرض ٤٢ درجة و ٤٠ دقيقة؛ وخط طول ٧٠ درجة و٣٧ دقيقة. والفصل الأول يقدم صورة مسرحية للحياة فى بلدتنا هذه فى يوم واحد فقط، وهو يوافق ٧ مايو ١٩٠١، والذى يبدأ قبل الفجر مباشرة.

[نسمع ديك يصيح].

وهناك فى الشرق، خلف هذا الجبل، تبدأ تلوح فى الأفق بعض خيوط من ضوء النهار. وها هى نجمة الصباح إنها تزداد تألقاً وبريقاً فى اللحظة التى تسبق رحيلها دائماً. أليس كذلك؟

[يتفرسها للحظة، ثم يذهب إلى مؤخرة المسرح].

والآن يجدر بى أن أحدثكم عن معالم بلدتنا هذه. ففى هذه الجهة، فى الداخل هناك

[أى فى الخط الموازى للجدار فى أقصى المسرح]..

يوجد الشارع الرئيسى.. وهناك من خلفه تقع محطة السكة الحديد، والتى تمتد قضبانها فى هذا الاتجاه. أما البلدة البولندية فتقع فى الجانب الآخر من هذه القضبان، وفيها تعيش بعض عائلات الكانوك.

[مُشيراً ناحية اليسار].

وهناك تقع الكنيسة الأبرشية. وفى الجانب الآخر من الشارع تستقر الكنيسة المشيخية (البروتستناتية).

أما الكنيسة الميثودية والكنيسة الاتحادية فتقعان هناك فى الناحية الأخرى.

والكنيسة المعمودية توجد هناك فى المنخفض بجوار النهر.

والكنيسة الكاثولكية هناك خلف خطوط السكة الحديد.

وها هو المبنى الذى يضم دار البلدية ومكتب البريد، وفى أسفله يوجد السجن.

وعلى سلالمه هذه القى برايان إحدى خُطبه.

وعلى هذا الجانب صف من المحال التجارية، وأمام هذه المحال توجد مرابط الخيل وأماكن انتظارها وتأجيرها. وسوف يدخل أول أوتوموبيل بلدتنا فى غضون خمس سنوات من الآن ـ والذى اشتراه هو السيد كارترايت صاحب بنك البلدة وصاحب أكبر ثروة فيها.... وهو يسكن فى ذلك البيت الأبيض الكبير فى أعلى التل.

وهذا محل البقالة وهذه صيدلية السيد مورجن. ومعظم أبناء بلدتنا يترددون على هذين المحلين ولو مرة واحدة كل يوم على الأقل.

وهناك على مرمى البصر يمكننا أن نرى المدرسة الحكومية. ثم بعدها تقع المدرسة الثانوية. تستطيع البلدة كلها أن تسمع صياح التلاميذ وصراخهم ينبعث من أفنيتها ثلاث مرات كل يوم: فى التاسعة إلا ربع صباحاً، وعند الظهيرة، وفى الساعة الثالثة عصراً.

[يقترب من المنضدة والكراسى فى مقدمة المسرح على اليمين].

أما هنا فنجد منزل طبيب المدينة ـ الدكتور جيبز. وهذا هو باب المنزل الخلفى.

[تبرز تكعيبتان مقنطرتان، مغطتان بالورود والكروم، ويتم وضعهما بجوار عمودى مقدمة المسرح].

هذه بعض المناظر لمن يرون أنه لابد من الاهتمام بالديكور المسرحى.

وهذه حديقة السيدة جيبز. بها الذرة.. البازلاء.. الفاصوليا... الورود... نبات عباد الشمس.. والأرقطيون بكثرة.

[يعبر المسرح].

وفى تلك الأيام الخوالى كانت جريدتنا، واسمها جروفرز كورنرز سينتنل (أى الحارس) تصدر مرتين فى الأسبوع. وهذا هو منزل محرر الجريدة السيد ويب.

أما هذه فهى حديقة السيدة ويب، وهى تشبه تماماً حديقة السيدة جيبز، غير أنها تحتوى على الكثير من نبات عباد الشمس أيضاً.

[ينظر لأعلى فى اتجاه منتصف المسرح].

وفى هذا المكان تحديداً... توجد شجرة جوز كبيرة.

[يعود إلى مكانه الأول عند عمود مقدمة المسرح من اليمين، وينظر إلى الجمهور للحظات].

بلدة لطيفة، تعرفون ماذا أعنى بذلك؟

فالحقيقة أنها لم تنجب ابداً شخصية مرموقة ذات شأن، على حد علمنا بتاريخها. فأقدم شواهد القبور فى مدافنها فى أعلى الجبل هناك، والتى تشير تواريخها إلى الفترة من ١٦٧٠-١٦٨٠، تحمل نفس أسماء العائلات الموجودة الآن: عائلة جروفر، وعائلة كارترايت، وعائلة جيبز، وعائلة هيرسى.

حسناً، كما أخبرتكم من قبل، فإن الوقت هو قبل بزوغ الفجر تقريباً.

لذا لا تجد فى البلدة ضوءاً إلا ذلك الذى يأتى من الكوخ القريب من قضبان السكة الحديد والذى وضعت فيه أم بولندية توأمها منذ قليل. وأيضاً من منزل جو كروبل، حيث يستيقظ جو الإبن ليوزع الجرائد. كما أن الضوء يأتى أيضاً من محطة القطار، حيث يستعد شورتى هوكنز ليعطى الإشارة لقطار الساعة الخامسة وخمس وأربعون دقيقة المتجه إلى بوسطن.

[تُسمع صفارة قطار. يخرج مدير خشبة المسرح ساعته ويومئ برأسه].

ومن الطبيعى أيضاً أن توجد إضاءة بالمناطق الريفية المحيطة بالبلدة منذ فترة، وذلك للقيام ببعض الأعمال الريفية من حلب الأبقار وما شابه ذلك. ولكن سكان البلدة لا يستيقظون مبكراً.

وهكذا بدأ يوم آخر فى بلدتنا.

وهذا هو الدكتور جيبز نراه قادماً الآن من الشارع الرئيسى بعد أن انتهى من حالة الوضع تلك التى كان يباشرها. وهذه هى زوجته التى تهبط الدرج لتعد طعام الفطور.

[السيدة جيبز، وهى امرأة لطيفة ذات جسد ممتلئ فى منتصف الثلاثينات من عمرها، تهبط الدرج من يمين المسرح. تقوم بفتح ستارة شباك غير حقيقى فى مطبخها، وتبدأ فى اشعال الموقد].

لقد توفى الدكتور جيبز فى عام ١٩٣٠، وسمى المستشفى الجديد على اسمه.

حقيقة لقد توفيت السيدة جيبز قبله بمدة طويلة. كانت قد ذهبت فى زيارة لإبنتها ربيكا، التى كانت قد تزوجت من رجل يعمل فى شركة تأمين فى مدينة كانتون بولاية أوهايو، ثم ماتت هناك بالتهاب رئوى. غير أن جثتها نقلت إلى هنا، ودفنت فى مقابر البلدة، مع خليط كبير من أفراد عائلتى جيبز وهيرسى. إن جوليا هيرسى كان اسمها قبل أن تتزوج الدكتور جيبز فى الكنيسة الأبرشية ببلدتنا.

إننا فى بلدتنا هذه تستهوينا معرفة سيرة كل فرد فيها.

فها هى السيدة ويب، تهبط سلالم منزلها، لتعد طعام افطارها أيضاً.

وها هو الدكتور جيبز، الذى كان قد استدعى لحالة الوضع فى الواحدة والنصف صباح هذا اليوم. ثم ها هو جو كرويل الإبن، يقوم بتوصيل جريدة «الحارس» للسيد ويب.

[كان الدكتور جيبز يجتاز الشارع الرئيسى من اليسار. وبينما هو يستعد لتغيير اتجاهه لدخول منزله عند نقطة ما، يتوقف وينحنى وكأنه يضع حقيبته

السوداء المتخيلة، ويخلع قبعته، ويمسح وجهه من التعب بمنديل قماش كبير.

وفى هذه الأثناء، تكون السيدة ويب، وهى امرأة نحيفة، ولكنها حادة وجادة، قد دخلت مطبخها (على اليسار)، مرتدية «مريلة» المطبخ. وهى تقوم بحركات توحى لنا بأنها تضع بعض الخشب فى الفرن لتشعله لإعداد الفطور.

وفجأة، يظهر جو كرويل الإبن، فى الحادية عشرة من عمره، فى الشارع الرئيسى من ناحية اليمين، موحياً لنا بأنه يلقى بجرائد متخيلة عند مداخل الأبواب].

جو كرويل الابن : صباح الخير ، يا دكتور جيبز.

الدكتور جيبز : أهلاً ، جو.

جو كرويل الإبن : هل كنت فى زيارة مريض، يادكتور؟

الدكتور جيبز : لا إنها حالة ولادة توائم فى البلدة البولندية.

جو كرويل الإبن : أتريد جريدتك الآن؟

الدكتور جيبز: نعم، شكراً لك. هل وقعت أحداث هامه فى هذا العالم منذ الأربعاء الماضى؟

جو كرويل الإبن : أجل، ياسيدى. إن معلمتى الآنسة فوستر ستتزوج من شاب فى مدينة كونكورد.

الدكتور جيبز : إن هذا لشئ مدهش! ولكن ما شعوركم أنتم كتلاميذها إزاء هذا؟

جو كرويل الإبن : بطبيعة الحال لا يعنينى ذلك فى شىء ـ ولكننى أظن أن من تبدأ حياتها كمعلمة فإن عليها أن تلتزم بذلك.

الدكتور جيبز : وكيف حال ركبتك الآن، ياجو؟

جوكرويل الإبن : بخير، يادكتور. وأنا لم أعد أشغل نفسى بها أبداً. ولكن كما قلت لى من قبل، فإنها تساعدنى فى معرفة متى تمطر.

الدكتور جيبز : وماذا تقول لك اليوم؟ هل ستمطر؟

جوكرويل الإبن : لا، ياسيدى.

الدكتور جيبز : أكيد؟

جوكرويل الإبن : أكيد، ياسيدى.

الدكتور جيبز : ألم تخطىء ركبتك فى ذلك من قبل؟

جوكرويل الإبن : لا، لم تفعل، ياسيدى.

[يخرج جو. ويظل الدكتور جيبز واقفاً يقرأ جريدته].

مدير خشبة المسرح : أود أن أحكى لكم شيئاً عن ذلك الفتى جوكرويل. كان جو شاباً ذكياً جداً ـ تخرج من المدرسة الثانوية بامتياز، وكان أول مجموعته. لذا فقد حصل على منحة دراسية كى يكمل دراسته فى معهد فنى فى ولاية ماساتشوستس، حيث تخرج الأول على دفعته أيضاً، كتبوا كل هذا فى الخبر المنشور عنه فى صحيفة البوسطن فى ذلك الوقت. كان سيصبح مهندساً عظيماً، إلا أن الحرب اندلعت ومات جو فى فرنسا. وهكذا أصبح كل ما ناله من تعليم عديم الجدوى.

هاوى نوسم : *[يأتى صوته من يسار المسرح]* إنشطى، يابيسى! ماذا دهاكى اليوم، أيتها الفرسة؟

مديرخشبة المسرح : ها هو هاوى نوسم يقوم بتوزيع اللبن.

[يدخل هاوى نوسم من الشارع الرئيسى من اليسار. إنه شاب فى حوالى الثلاثين من عمره. يرتدى أفرولاً، ويسير بجوار عربة وفرسة متخيلين، ويحمل زجاجات لبن متخيلة أيضاً، ولكن يمكن سماع صوت صلصلتها. يترك بعض هذه الزجاجات أمام باب السيدة ويب الخلفى. ثم يعبر المسرح إلى منزل السيدة جيبز، ولكنه يتوقف فى منتصف المسرح ليتحدث مع الدكتور جيبز].

هاوى نوسم : صباح الخير، يادكتور.

الدكتور جيبز : صباح الخير، ياهاوى.

هاوى نوسم : أكنت فى زيارة مريض ؟

الدكتور جيبز : لا. فقط وضعت السيدة جوروسلافسكى توأمين.

هاوى نوسم : توأمين؟ ما أروع هذا! إن سكان هذه البلدة يتزايدون عاماً بعد عام.

الدكتور جيبز : اتعتقد أنها ستمطر اليوم، ياهاوى.

هاوى نوسم : لا. لا اعتقد ذلك. إنه يوم مشرق وسيظل هكذا طول النهار. هيا، يابيسى.

الدكتور جيبز : أهلاً بيسى.

[يربت على الفرسة، التى تظل فى منتصف مؤخرة المسرح].

كم عمرها الآن، ياهاوى؟

هـــاوى نـــوســـم : سبعة عشر عاماً تقريباً. لقد أصبح الطريق محيراً بالنسبة لها الآن بعد أن توقفت عائلة لوكهارت عن أخذ حصتها اليومية من اللبن. وهى ترغب فى أن اتركها لهم رغم ذلك، كما أنها لا تكف عن لومي على ذلك طوال الطريق.

[يصل هاوى نوسم إلى الباب الخلفى لمنزل السيدة جيبز، حيث تنتظره].

الســـيدة جيـــبز : صباح الخير، ياهاوى.

هـــاوى نـــوســـم : صباح الخير، ياسيدة جيبز. إن الدكتور فى طريقه إلى البيت.

الســـيدة جيـــبز : حقاً؟ يبدو أنك تأخرت اليوم.

هـــاوى نـــوســـم : نعم، ياسيدتى. فلقد تعطلت فرازة اللبن اليوم، ولا أدرى ماسبب ذلك.

[يمر بجوار الدكتور جيبز، الذى يتوسط مؤخرة المسرح].

إلى اللقاء يا دكتور

الدكـتـور جـيـبز : إلى اللقاء

الســـيدة جيـــبز : *[ترفع صوتها]* هيـــا يا أولاد! يا أولاد! حـــان وقت استيقاظكما.

هـــاوى نـــوســـم : هيا يابيسى!

[يخرج من جهة اليمين].

الســـيدة جيـــبز : جورج! ربيكا!

[يصل الدكتور جيبز عند الباب الخلفى ويمر من التكعيبة

ليدخل منزله]

السـيـدة جـيـبـز : كيف كان الحال، يافرانك؟

الدكـتـور جـيـبـز : نعم، كل شئ تمام. الحقيقة أنها كانت ولادة سهلة جداً.

السـيـدة جـيـبـز : سيكون الطعام جاهزاً حالاً. استرح وتناول قهوتك. بعدها يمكنك أن تنام ساعتين هذا الصباح، أليس كذلك؟

الدكـتـور جـيـبـز : لا أعتقد ذلك.. فالسيدة وينتورث ستأتى للقائى فى الحادية عشرة. وأعتقد أننى أعرف سبب هذه الزيارة، أيضاً. فمعدتها لم تعد بحالة جيدة.

السـيـدة جـيـبـز : هذا يعنى أنك لن تنام أكثر من ثلاث ساعات. إننى لا أدرى ماذا سيحدث لك، يافرانك جيبز. كم أتمنى أن اقنعك بأن تذهب إلى مكان بعيد عن هنا كى تستريح. إننى أعتقد أن هذه الأجازة ستفيدك كثيراً.

السـيـدة ويب : إمـيلى ى ى ى ! يجب أن تنهـضى من سـريرك! وللى! الساعة السابعة!

السـيـدة جـيـبـز : *[منشغلة بالفرن]* أظن أنه من المهم أن تتحدث مع جورج. أتصور أن شيئاً ما قد حدث له فى الفترة الأخيرة. لم يعد يساعدنى فى أى شىء، حتى أننى لم أعد قادرة على اقناعة بتقطيع بعض الخشب لى.

الدكـتـور جـيـبـز : *[بينما يغسل يديه ويجففها عند الحوض]* هل هو وقح معك؟

السـيـدة جـيـبـز : لا، فـقط لا يكف عن الشكوى. ولا يفكر فى شىء سـوى

لعبة البيسبول- جورج! ربيكا! ستتأخران على المدرسة.

الدكتور جيبز : *[يصدر غمغمة مؤيداً لها].*

السيدة جيبز : جورج !

الدكتور جيبز : أسرع ياجورج !

صوت جورج : حالاً يا أبى !

الدكتور جيبز : *[وهو يغادر المسرح]*

ألا تسمع نداء أمك؟ اعتقد أننى سأصعد للدور العلوى كى أغفو قليلاً.

السيدة ويب : وولى ى ى ! إميلى ى ى! ستتأخران على المدرسة! وولى ى ى!! نظف نفسك جيداً وإلا صعدت لك وقمت بذلك بنفسى.

صوت ربيكا جيبز : أمى! أى فستان سأرتدى؟

السيدة جيبز : لا داعى للصياح، فأبوكى كان يعمل خارج المنزل طوال الليل وهو بحاجة لبعض النوم. لقد غسلت وكويت لك فستانك القطنى الأزرق.

ربيكا : ولكننى أكره هذا الفستان يا أمى.

السيدة جيبز : قلت لك أخفضى صوتك.

ربيكا : أنا لا أحب أن أذهب للمدرسة يومياً مرتدية هذا الفستان، إنه يجعلنى أبدو كديك رومى مريض.

السيدة جيبز : ربيكا، لا داعى لكل ذلك الآن، فأنت دائماً جميلة المظهر.

ربيكا : أمى! إن جورج يرمى الصابون على.

السيدة جيبز : يبدو أننى سأضربكما أنتما الإثنين معاً.

[تُسمع صفارة مصنع].

[يندفع الأولاد إلى الداخل ويتخذون أماكن جلوسهم حول المائدة. على يمين المسرح يجلس جورج (فى السادسة عشرة من عمره تقريباً) وتجلس ربيكا أيضاً (فى الحادية عشرة من عمرها). وحول المائدة على يسار المسرح يجلس كل من وولى وإميلى (وهما فى نفس عمر ربيكا وجورج). وهم جميعاً يحملون كتب المدرسة].

مدير خشبة المسرح : إن بلدتنا بها مصنع أيضاً - هل سمعتم صفارته؟ يقوم بإنتاج البطاطين. وهو ملك لعائلة كاترايت الذين جنوا ثروة طائلة منه.

السيدة ويب : وبعدين ياأولاد! لن أقبل هذا. الإفطار وجبة رئيسية مثل باقى الوجبات الأخرى، لذا فلن أسمح لكما بزلط الطعام هكذا كالذئاب. إن هذا سيوقف نموكما ـ نعم هذه حقيقة أعرفها جيداً. أترك هذا الكتاب فوراً، ياوولى.

وولى : أرجوكى يا أمى! فعلى أن أكون قد قرأت كل شئ عن كندا قبل العاشرة.

السيدة ويب : أنت تعرف الأصول كما أعرفها أنا تماماً ـ غير مسموح بالكتب على مائدة الطعام. فأنا افضل أن يكون أولادى أصحاء على أن يكونوا أذكياء، فتلك هى قناعتى الشخصية.

إمـــــيلـى : إننى أجمع بين الصحة والذكاء يا أمى، وأنت تعرفين ذلك. فأنا أذكى بنات المدرسة فى مثل سنى، ولى ذاكرة رائعة.

السـيـدة ويب : تناولى طعامك.

ولـــلـــى : وأنا أيضاً أكون ذكياً عندما أنظر إلى ما جمعته من طوابعبريدية.

السـيـدة جيبز : بعد أن يستيقظ والدك من النوم سأتحدث معه فى هذا الموضوع، فأنا أرى أن المبلغ الذى تأخذه كل أسبوع يكفى أى ولد فى سنك. والحقيقية أننى لا أفهم كيف تنفق هذا المبلغ كله.

جـــورج : إرحمينى يا أمى! فهناك الكثير والكثير من الأشياء التى أحب أن اشتريها.

السـيـدة جيبز : آيس كريم الفراولة ـ أليس هذا كل ما تنفق مصروفك عليه؟

جـــورج : إننى لا أفهم كيف حصلت ربيكا على كل هذا المال. إن لديها فوق الدولار!

ربـيـكـا : *[الملعقة فى فمها، وتقول بطريقة حالمة]* لقد ادخرته من مصروفى تدريجياً.

السـيـدة جيبز: هذا شئ طيب ياعزيزتى، ولكننى اعتقد أنه من الجميل أيضاً أن تنفقى بعضه أحياناً.

ربـيـكـا : هل تعلمين يا أمى ما هى أحب الأشياء لنفسى فى هذا العالم؟ إنه المال.

السيدة جيبز : إكملى طعامك.

الأولاد: ها هو جرس المدرسة الأول يا أماه. علينا أن نسرع إلى المدرسة. يكفينا ما تناولنا من طعام. يجب أن نسرع الآن.

[يندفع الأولاد الأربعة مسرعين عبر التكعيبتين، ويلتقون فى وسط مقدمة المسرح، يدردشون ويتجهون إلى الشارع الرئيسى، ثم إلى اليسار.

أما مدير خشبة المسرح فيخرج من جهة اليمين].

السيدة ويب : هيا أسرعا، ولكن لا داعى للجرى. وولى، ارفع بنطلونك حتى ركبتك. وأنت يا إميلى، إفردى ظهرك وأنت تمشين.

السيدة جيبز : بلغى الآنسة فوستر أننى أرسل إليها أجمل التهانى - هل يمكن أن تفعلى ذلك؟

ربيكا : نعم يا أمى، سأفعل بكل تأكيد.

السيدة جيبز : إن مظهرك رائع ياربيكا. هيا أسرعا.

الجميع : إلى اللقاء

[تملأ السيدة جيبز مريلتها بأكل الكتاكيت وتتجه ناحية أضواء المسرح الأمامية].

السيدة جيبز : هيا.. تعالوا ياكتاكيت.. كيت.. كيت.. كيت... لا.. لا.. ابتعد..أنت.. ابتعد.. إيه الحكاية.. ماذا أصابكم؟ لا هم لكم سوى أن تتقاتلوا وتتقاتلوا! هل هذا هو كل ما تجيدون فعله الآن؟ وأنت أيتها الدجاجة لست من دجاجاتى. من أين أتيتى؟

[تفرغ مريلتها من باقى الطعام].

لا تخافى ... *لن يؤذيكى أحد.*

[تُرى السيدة ويب وهى تجلس على المقعد تحت تكعيبة منزلها، حيث تقوم بإزالة الخيوط من الفاصوليا].

صباح الخير ياميرتل. كيف حال البرد الذى أصابك؟

السيدة ويب : أحسن، ولكن لا زال حلقى يؤلمنى. لقد أخبرت تشارلز أننى قد لا أستطيع الذهاب للكنيسة للتدريب على الإنشاد الجماعى الليلة. فذهابى لن يكون مُجدياً.

السيدة جيبز : هل حاولت أن تغنى من طبقة أعلى من طبقة صوتك العادى؟

السيدة ويب : نعم، ولكننى لم أستطع أن أحافظ على المقام الموسيقى. لقد فكرت فى تنظيف الفاصوليا بينما أستريح.

السيدة جيبز : *[ترفع أكمامها بينما تعبر المسرح لتتحدث مع جارتها السيدة ويب].*

اسمحى لى أن أساعدك. لقد كان محصول الفاصوليا جيداً هذا العام.

السيدة ويب : لقد قررت أن أخزن كمية كبيرة منها، مهما كان التعب. صحيح أن الأولاد يقولون أنهم لا يطيقونها، إلا أننى لاحظت أنهم يتقبلونها فى الشتاء.

[فترة صمت قصيرة. ثم نسمع صوت الدجاج لبرهة].

السيدة جيبز : اسمعى ياميرتل. أحتاج بشدة لأن أفضى إليك بشىء

مـا، وإن لم أفعل لأنفجرت.

السيدة ويب : ما الخبر، يا جوليا جيبز!

السيدة جيبز : هيا اعطنى كمية أخرى من الفاصوليا ... ميرتل، هل زارك أحد تجار الأثاث المستعمل من بوسطن يوم الجمعة الماضى؟

السيدة ويب : لا لم يحدث.

السيدة جيبز : حسناً، لقد زارنى. فى البداية كنت احسبه مريضاً جاء لرؤية الدكتور جيبز. ولكنه تمكن بطريقة ثعبانية من اقناعى بإدخاله إلى غرفة الضيوف، وتخيلى ياميرتل ويب، لقد عرض أن يدفع لى ثلاثمائة وخمسين دولاراً لشراء دولاب جدتى «ونتويرث» القديم!

السيدة ويب : هل فعل ذلك حقاً ياجوليا جيبز ؟!

السيدة جيبز : نعم! تخيلى كل هذا المبلغ مقابل ذلك الشىء القديم الضخم الذى طالما أعجزتنى الحيلة عن أن أجد مكاناً مناسباً له فى هذا المنزل. لقد فكرت جدياً فى أن أهديه لابنة عمى هيستر ويلكوكس.

السيدة ويب : طبعاً ستقبلين هذا العرض، أليس كذلك؟

السيدة جيبز : لا أدرى.

السيدة ويب : ثلاثمائة وخمسون دولاراً ولا تدرين!! ما الذى أصابك؟

السيدة جيبز : آه لو كنت استطيع أن اقنع الدكتور جيبز بأن يأخذ هذا المبلغ لنسافر به فى رحلة إلى مكان ما، كنت ساعتها

سأقبل العرض على الفور. تعرفين ياميرتل، إنه كان ولا يزال حلم حياتى أن أرى باريس، فرنسا ـ يا إلهى أعلم أنها فكرة مجنونة، ولكننى كم منيت نفسى بذلك ـ إذا ما أتيحت لى الفرصة ـ

السيدة ويب : هذا شىء رائع، ولكن ما رأى الدكتور فى ذلك؟

السيدة جيبز : لقد ألمحت بهذا الموضوع، وقلت لو أننى ورثت بعض المال ـ هكذا قلت له ـ لحملته على أن يأخذنى فى رحلة إلى مكان ما.

السيدة ويب : وماذا قال لك؟

السيدة جيبز : إنك تعرفين طبعه. منذ عرفته وهو لايأخذ شيئاً مأخذ الجد. قال لا. فالترحال فى أوروبا قد يجعله يتذمر من حياته فى جروفرز كورنرز، لذا فمن الأفضل ألا يفعل ذلك. ويكفى، كما يقول، أنه يذهب مرة كل سنتين لزيارة ساحات معارك أحداث الحرب الأهلية، فمن يطمع فى أكثر من ذلك؟

السيدة ويب : الحقيقة أن السيد ويب معجب جداً بإلمام الدكتور جيبز بكل تفاصيل الحرب الأهلية. وهو كثيراً ما فكر فى أن يتخلى عن اهتمامه بنابليون ليركز على الحرب الأهلية، إلا أن وجود الدكتور جيبز كأحد أعظم الخبراء فى هذا الشأن جعله يُقلع عن ذلك تماماً.

السيدة جيبز : نعم، تلك هى الحقيقة، فالدكتور جيبز يشعر بسعادة لا مثيل لها عندما يكون فى أنتيتام أو جيتسبرج. كم من

المرات مشينا معاً فوق تلك التلال، نتوقف عند كل شجيرة ونقيس المسافات وكأننا سنشتريها.

السيدة ويب : حسناً. إذا كان هذا المشترى جاداً فى عرضه فأقبليه على الفور. فسوف يساعدك ذلك على السفر إلى باريس كما تحلمين. فقط لمحي له عن ذلك من وقت لآخر. لقد تمكنت من السفر لمشاهدة المحيط الأطلنطى بنفس الطريقة.

السيدة جيبز : سامحينى إننى تحدثت عن هذا. ولكن يبدو لى أنه من المفروض أن يرى المرء ولو لمرة واحدة فى حياته بلداً لا يتحدث أهله الإنجليزية بل ولا يرغبون حتى فى ذلك.

[يدخل مدير خشبة المسرح بسرعة من اليمين، ويخلع قبعته لتحية السيدتين، فيردان التحية بالمثل].

مدير خشبة المسرح : شكراً لكما، أيتها السيدتان. شكراً لكما على كل شئ.

[تقوم السيدتان بجمع متعلقاتهما، ثم العودة إلى منزليهما، حيث لم نعد نراهما].

والآن لنتقدم فى الزمن بضع ساعات للأمام. وليكن أول ما نفعله هو تقديم المزيد من المعلومات عن هذه البلدة، نوعاً من التقرير العلمى. لهذا فقد طلبت من البروفيسور ويلارد من جامعة الولاية أن يقدم لنا بعص تفاصيل تاريخنا القديم.

هل حضر البروفيسور ويلارد؟

[من يمين المسرح يدخل البروفيسور ويلارد، وهو عالم ريفى، يضع نظارة أنفية مثبتة بشريط كبير من الساتان، وبيده بعض الأوراق].

لتسمحوا لى أن أقدم البروفيسور ويلارد، من جامعة ولايتنا.

فليتفضل سعادة البروفيسور مشكوراً بتقديم بعض المعلومات المخُتصرة، ونأسف لضيق الوقت.

البروفيسور ويلارد : جروفرز كورنرز.. لحظة .. نعم .. تقع بلدة جروفرز كورنرز على صخور الجرانيت القديم من العصر البلستوسينى الذى تتكون منه سلسلة جبال الأبالاش. وأنا أزعم أن أرضها من أقدم الأراضى فى العالم وهذا من دواعى فخرنا . وهى تضم طبقة من البازلت الديفونى، وبها آثار من تربة صخرية رخوة ترجع إلى العصر الميسوزى الوسيط، وبعض نتوءات من الحجر الرملى؛ ولكن هذه الطبقات ترجع إلى عصور حديثة: يقدر عمرها بحوالى مائتى أو ثلاثمائة مليون سنة. لقد تم العثور على حفريات هامة فى أرضها... على بعد ميلين من البلدة، فى مراعى الأبقار بمنطقة سايلاس بكهام. وأنا أزعم أنها حفريات فريدة من نوعها . وهى معروضة الآن فى متحف الجامعة، حيث يمكننا مشاهدتها فى أى وقت نشاء - أقصد فى الأوقات المناسبة. وبإمكانى أيضاً أن أعرض عليكم - إن

اردتم ـ بعض التقارير التى أعدها البروفيسور جروبر عن الأحوال الجوية فيها ـ أعنى بعض الظواهر الجوية المميزة لبلدتنا.

مدير خشبة المسرح : آسف ليس لدينا وقت لذلك ياسيادة البروفيسور. بإمكاننا أن نأخذ فكرة عن تاريخ الحياة البشرية هنا.

البروفيسور ويلارد : بكل تأكيد... تدل الأبحاث الأنثروبولوجية على أن أصل السكان هنا من الجنس الهندى الأمريكى من قبائل الكوتاهاتشى... وليس هناك أى أدلة عن الأصول السلالية قبل القرن العاشر من حقبتنا هذه... فلقد اختفى كل دليل الآن ولكن يحتمل وجود بعض الآثار فى ثلاث أسر. وكانت الهجرة إلى هنا حوالى نهاية القرن السابع عشر من سلالة من الإنجليز ذات رءوس مستطيلة وزرق العيون فى الغالب... ومنذ ذلك الوقت توافدت بعض الأجناس السلافية والبحر متوسطية ـ

مدير خشبة المسرح : وما عدد السكان ، يابروفيسور ويلارد؟

البروفيسور ويلارد : يصل عددهم داخل البلدة إلى ٢٦٤٠ نسمة.

مدير خشبة المسرح : لحظة يابروفيسور.

[يهمس فى أذن البروفيسور].

البروفيسور ويلارد : نعم ـ نعم ـ عدد السكان حالياً ٢٦٤٢ نسمة. ويضاف إليهم حوالى ٥٠٧ آخرون على أطراف البلدة، ليصل العدد بذلك إلى ٣١٤٩ نسمة ـ أما عن معدل المواليد

والوفيات فهو ثابت، وحسب مقياس مكفرسون ٦,٠٣٢.

مدير خشبة المسرح : نشكرك كثيراً، يابروفيسور ويلارد، نحن جميعاً فى غاية الامتنان لك.

البروفيسور ويلارد : الشكر لكم جميعاً، ياسادة. فأنا لم أفعل شيئاً يستوجب الشكر.

مدير خشبة المسرح : من هنا يابروفيسور. وأشكرك مرة أخرى.

[يخرج البروفيسور ويلارد].

والآن لنستمع إلى التقرير الاجتماعى والسياسى من المحرر ويب. أين السيد ويب؟

[تظهر السيدة ويب عند الباب الخلفى لمنزلها].

السيدة ويب : سيحضر بعد دقيقة... فقد جرح يده وهو يقطع تفاحة ليأكلها.

مدير خشبة المسرح : شكراً لك، ياسيدة ويب.

السيدة ويب : تشارلز! الجميع فى انتظارك.

[السيدة ويب تغادر مكانها].

مدير خشبة المسرح : إن السيد ويب هو محرر وصاحب جريدة «الحارس» ببلدتنا جروفرز كورنرز، وهى جريدتنا المحلية، كما تعرفون.

[يدخل السيد ويب مرتدياً معطفه، وقد ربط إصبعه بمنديل].

السيد ويب : حسناً... كما تعرفون جميعاً، فإن إدارة شئون هذه البلدة

يقوم بها نخبة متميزة من خيرة رجالنا. للذكور حق الانتخاب متى بلغوا الواحدة والعشرين. أما النساء فهن ينتخبن بطرق غير مباشرة. ونحن ننتمي للشريحة الدُنيا من الطبقة المتوسطة، فيها جماعة صغيرة من أصحاب المهن... وعشرة في المائة من العمال الأميين. وخريطتنا السياسية تتشكل من ٨٦٪ جمهوريين، و٦٪ ديمقراطيين، و٤٪ إشتراكيين، والنسبة المتبقية ليس لها أدنى اهتمام بالحياة السياسة.

أما من الناحية الدينية، فإن غالبيتنا بنسبة ٨٥٪ بروتستانت، والأقلية ١٢٪ كاثوليك، والنسبة المتبقية لا تهتم بالنواحي الدينية.

مدير خشبة المسرح : هل من ملاحظات أخرى تود أن تشركنا معك فيها، ياسيد ويب؟

السيد ويب : إن بلدتنا بلدة عادية جداً، لو سألتموني عن رأيي، وإن كانت أكثر انضباطا في سلوكها عن معظم البلدان الأخرى مما يجعل الحياة فيها أكثر مللاً وركوداً.

لكن يبدو أن شبابنا هنا يحبون الحياة فيها ويتعايشون معها. إن ٩٠٪ من الذين يتخرجون منهم من المدرسة الثانوية يستقرون فيها، بما فيهم أولئك الذين تخرجوا في كليات في بلدان أخرى.

مدير خشبة المسرح : والآن أيوجد بين الحاضرين من يود أن يستفسر من

السيد ويب عن أى شىء خاص ببلدتنا؟

امرأة فى مقاعد

البكلون : هل تعتقد أن نسبة من يكثرون من الشراب كبيرة فى بلدتنا؟

السيد ويب : فى الواقع ياسيدتى أنا لا أفهم ماذا تعنين بالإكثار من الشراب. ففى مساء السبت من كل أسبوع يلتقى الفلاحون فى إسطبل جياد إيليرى جرينو، ويشربون ويتعالى صخبهم. ولدينا فى المدينة سكير أو سكيرين يدمنان الشراب، لكنهما سرعان ما يتملكهما الإحساس بالندم وتأنيب الضمير حالما يحضر أحد المُبشِرين البروتستانت هنا إلى البلدة. لا، ياسيدتى، لا وجود للخمر بصورة منتظمة فى المنازل هنا سوى للأغراض الطبية ـ وذلك لعلاج لدغة ثعبان، مثلاً، أو ما شابه ذلك. وهذا ليس بالشئ الجديد، كما تعرفين.

رجل متحفز للهجوم

فى آخر الصالة : أليس فى البلدة من يدرك....

مدير خشبة المسرح : تقدم إلى الأمام، من فضلك، حتى يسمعك الجميع. ماذا تقول؟

الرجل المتحفز

للهجوم : أليس بيننا فى هذه البلدة رجل يشعر بالظلم الاجتماعى ويعى الفوارق الاقتصادية؟

السيد ويب : نعم بكل تأكيد، الجميع يعرف ذلك تماماً. وإنه لشئ فظيع إنهم أصبحوا لا هم لهم سوى الحديث عن الأغنياء والفقراء فى هذه البلدة.

الرجل المتحفز للهجوم : إذا كان الحال كذلك، فلم لا يفعلون شيئاً حيال ذلك؟

[ينسحب الرجل دون أن ينتظر ليسمع الإجابة على سؤاله].

السيد ويب : فى الحقيقة، أنا لا أعرف... ولكننى أظن أننا جميعاً مثل كل الناس نبحث عن الوسيلة التى تضمن للإنسان العاقل والمثابر أن يصل إلى القمة، وتجعل الكسول والمشاكس يهوى إلى الحضيض. ولكن ليس من السهل أن نجد هذه الوسيلة. وإلى أن نجدها، فإننا نفعل كل ما نقدر عليه لرعاية أولئك الذين لا يقدرون على رعاية أنفسهم، ونترك القادرين وشأنهم ـ هل هناك تساؤلات أخرى؟

امرأة فى مقاعد البلكون : عفواً، ياسيد ويب؟ سيد ويب؟ هل يوجد فى جروفرز كورنرز ثقافة أو عشق للجمال؟

السيد ويب : حقيقة، ليس فيها الكثير من ذلك بالمعنى الذى تقصدينه. لو تأملنا الأمر هنا، لوجدنا أن بعض الفتيات يعزفن البيانو فى حفلات التخرج فى المدرسة الثانوية؛ إلا أنهن يفعلن ذلك على مضض. لا، ياسيدتى، ليس

عندنا الكثير من الثقافة. ولكن ربما كانت هذه فرصة مناسبة لأن أحدثكم عن مُتع أخرى كثيرة تتوفر لنا هنا فى هذه البلدة: إننا نسعد بمنظر الشمس وهى تشرق علينا كل صباح من وراء هذا الجبل، كما أن الكثيرين منا يعرفون الكثير عن الطيور ويبدون اهتماماً كبيراً بها. كما أننا نجد مُتعة فى مراقبة تغير الفصول واختلافها، نعم فكل واحد فينا يعرف هذه الاختلافات والفوارق جيداً. أما تلك الاشياء الأخرى التى تقصدينها، فأنت محقة يا سيدتى ليس لدينا منها الكثير. فكل ما نعرفه لا يتجاوز بعض النصوص مثل «روبنسون كروزو»، والإنجيل؛ والكل يعرف مقطوعة «لارجو» لهاندل، وصورة «الأم» لويسلر.

امرأة فى مقاعد البلكون : هذا ما كنت أعنيه تماماً. شكراً لك، ياسيد ويب.

مدير خشبة المسرح : شكراً لك، ياسيد ويب.

[يتراجع السيد ويب تاركاً مكانه].

ولنعد الآن إلى البلدة. الوقت مبكراً بعد فترة الظهيرة ولقد فرغ أهل البلدة الـ ٢٦٤٢ من تناول طعام الغداء، بل وغسلوا جميعاً أطباقهم.

[يعود السيد ويب بعد أن خلع معطفه ويبدأ فى دفع آلة تهذيب العشب هنا وهناك بجوار منزله].

ويلف البلدة كلها جو من الهدوء والسكون الذى يصاحب

بداية فترة العصارى، فيما عدا ذلك الطنين الذى يترامى من مبانى المدرسة. كما أن الشارع الرئيسى قد خلا من الحركة إلا من بعض العربات صغيرة الحجم. ونامت الخيول عند مرابطها. وبالطبع فإنكم جميعاً تعرفون ذلك المشهد جيداً. فالدكتور جيبز فى عيادته الآن يفحص صدور مرضاه، ناقراً إياها بأصابعه وطالباً منهم أن يقولوا «آه». أما السيد ويب فإنه منهمك فى تهذيب حديقة منزله بنفسه، فمن بين كل عشرة رجال تجد واحداً يفخر بأنه يستخدم آلة تهذيب العشب بنفسه. لحظة، أيها السيدات والسادة! يبدو أننى أخطأت فى تقدير الوقت. لقد تقدم الوقت كثيراً. انظروا، ها هم الأولاد فى طريق عودتهم إلى منازلهم بعد أن غادروا المدرسة.

[يمكننا سماع البنات يتحدثن بأصوات مرتفعة من جهة اليسار. تدخل إميلى ويب من الشارع الرئيسى وهى تحمل بعض الكتب، ويبدو عليها وكأنها تتخيل أنها امرأة ذات أناقة مذهلة].

إميلى : لا يمكننى أن أفعل ذلك، يالوى! على أن أعود إلى المنزل لأساعد أمى. لقد وعدتها بذلك.

السيد ويب : إميلى.. سيرى بطريقة طبيعية بسيطة. من تتخيلين نفسك اليوم؟

إمـــــــــــيلـى : بابا. أنت فظيع. مرة تطلب منى أن أسير مستقيمة الظهر وبعدها بلحظة تنعتنى بصفات قبيحة. لم أعد أهتم بما تقول.

[تقبله قبلة خاطفة]

الســـيــد ويب : لم أحصل على قبلة من سيدة على هذا القدر من العظمة من قبل.

[يبتعد السيد ويب عن الأنظار. تنحنى إميلى لتقطف بعض الأزهار القريبة من باب منزلها.

يأتى جورج جيبز مسرعاً فى الشارع الرئيسى وهو يقذف كرة إلى علو يثير الدوار ثم ينتظر ليلتقطها مرة أخرى. وقد يتطلب منه ذلك أن يرجع إلى الخلف ست خطوات. وبالفعل يصطدم بسيدة لا نراها].

جـــــــــــورج : أرجو المعذرة، ياسيدة فوريست.

مدير خشبة المسرح : *[متلبساً شخصية السيدة فوريست]*

إذهب بعيداً عن هنا والعب فى الحقول، أيها الشاب. فلا يليق بك أن تلعب البيسبول فى الشارع الرئيسى!

جـــــــــــورج : أنا فى غاية الأسف، ياسيدة فوريست ـ أهلاً، يا إميلى.

إمـــــــــــيلـى : أهلاً جورج.

جـــــــــــورج : كان حديثك فى الفصل اليوم رائعاً.

إمـــــــــــيلـى : كنت فعلاً قد تهيأت لإلقاء خطاب عن مبدأ مونرو، ولكن الآنسة كوركوران طلبت إلى أن أتحدث عن صفقة شراء

لويزيانا بدلاً من ذلك. لكننى على أية حال كنت قد درست الموضوعين بعناية واهتمام شديدين جداً.

جـــــورج : إنه شئ عجيب حقاً، يا إميلى! إننى استطيع من خلال نافذتى هناك أن أراك منكبة على واجباتك المدرسية بغرفتك كل ليلة..

إمـــــيلى : أحقاً يمكنك أن ترانى؟

جـــــورج : إنك من النوع الملتزم المثابر حقاً، يا إميلى! والحق إننى لا أستطيع أن أفهم كيف يمكنك أن تجلسين إلى مكتبك كل هذا الوقت دون تعب أو ملل! أظن إنك مغرمة بمدرستك ودراستك.

إمـــــيلى : فى الواقع، إننى أشعر بأنها مرحلة علينا جميعاً أن نجتازها.

جـــــورج : حقاً ؟

إمـــــيلى : انها لا تزعجنى فى الواقع. أنها تمضية للوقت.

جـــــورج : فعلاً ـ ما رأيك يا إميلى؟ بإمكاننا أن نوجد نوعاً من الاتصال التلغرافى بينك وبينى، حيث يمكنك من آن لآخر أن تساعدينى فى حل بعض مسائل الجبر. وبالطبع أنا لا أقصد أن تعطينى الإجابة كاملة، يا إميلى... ولكن فقط بعض الإرشادات...

إمـــــيلى : حسناً أعتقد أن الإرشادات مسموح بها. فإن وجدت ما يشكل عليك فى الجبر، فما عليك إلا أن تُصفرٍ لى وسوف

أعطيك بعض الإرشادات.

جـــــــورج : أظن يا إميلى أنك ذكية بالفطرة.

إمـــــــيلى : نعم، أعتقد أن الذكاء ملكة يولد بها الانسان.

جـــــــورج : أجل، ولكننى أود أن أكـون فـلاحـاً. ويقـول عـمى لوقـا إنه بإمكانى أن أعـمل فى مـزرعـتـه مـتى أردت ذلك، بل إنه بإمكانى أن امتلكها مع الوقت إن نجحت فى هذا العمل.

إمـــــــيلى : تقصد المنزل والمزرعة وكل شئ؟

[تدخل السيدة ويب وفى يدها وعاء كبير وتجلس على مقعد بجوار التكعيبة].

جـــــــورج : نعم، شكراً... يجدر بى أن أذهب إلى ملعب البيسبول الآن. أشكرك على حديثك، يا إميلى – مساء الخير، ياسيدة ويب.

السـيـدة ويب : مساء الخير، ياجورج.

جـــــــورج : إلى اللقاء، يا إميلى.

إمـــــــيلى : إلى القاء، ياجورج.

السـيـدة ويب : تعالى يا إميلى لتساعدينى فى إزالة الخيوط من الفاصوليا لكى أجففها من أجل الشتاء القادم. يبدو أن جورج جيبز كان مهتماً بإطالة الحديث معك، أليس كذلك؟ يبدو أنه كبر سريعاً. هل تعرفين كم عمره الآن؟

إمـــــــيلى : لا، لا أعرف.

السـيـدة ويب : انتظرى. لا بد وأنه فى السادسة عشرة الآن.

إمـــــيلـى : أماه، لقدالقيت خطاباً اليوم فى الفصل وكان رائعاً.

السـيـدة ويب : فالتكرريه على مسامع أبيك على العشاء الليلة. ماذا كان موضوعه؟

إمـــــيلـى : كان موضوعه صفقة شراء لويزيانا... كانت الألفاظ تنساب من فمى كخيوط الحرير. سأقوم بإلقاء الخطب طوال حياتى كلها. أماه، هل حجم حبات الفاصوليا مناسب؟

السـيـدة ويب : حاولى أن تنتقى الكبير منها قدر المستطاع.

إمـــــيلـى : أماه، لو سألتك سؤلاً هل ستردين عليه جد؟

السـيـدة ويب : قولى بجد، ياعزيزتى، وليس جد.

إمـــــيلـى : بجد ـ هل ستردين؟

السـيـدة ويب : بالطبع، سأفعل..

إمـــــيلـى : أمى، هل أنا حسنة المظهر؟

السـيـدة ويب : طبعاً بالتأكيد. فأولادى كلهم لهم ملامح حسنة، ولو لم يكونوا كذلك لخجلت منهم.

إمـــــيلـى : أرجوكى، يا أمى، ليس هذا ما أعنى. ما أعنى. ما أعنيه هو: هل أنا جميلة؟

السـيـدة ويب : لقد قلت لك من قبل أنك بالفعل كذلك. والآن يكفى ما قلناه فى هذا الموضوع. إن لك وجهاً صغيراً جميلاً. إننى لم استمع لمثل هذه الحماقة من قبل.

إمـــــيلـى : ماما. إنك لا تقولين لنا الحقيقة أبداً عن أى شىء.

السيدة ويب : ولكننى أخبرك بالحقيقة الآن.

إميلى : أماه، هل كنت أنت جميلة؟

السيدة ويب : نعم، كنت جميلة، لو كان من حقى أن أقول ذلك عن نفسى. كنت أجمل بنات البلدة بعد مامى كارترايت.

إميلى : ولكن عليك يا أمى أن تقولى لى شيئاً عن جمالى أنا. هل أنا جميلة بما يكفى لأن أجد شخصاً.. لأن القى اهتمام الناس؟

السيدة ويب : إميلى، إنك ترهقيننى. والآن كفى عن هذا الحديث. إنك جميلة بالقدر الذى تتطلبه أغراض الحياة العادية ـ والآن هيا بنا وأحضرى هذا الإناء معك.

إميلى : أوه يا ماما. ليس منك فائدة.

مدير خشبة المسرح : شكراً لكما.. شكراً. يكفى هذا. علينا أن نقطع الحديث مرة أخرى. شكراً، سيدة ويب. شكراً، إميلى.

[تنسحب السيدة ويب وإميلى]

لدينا أشياء أخرى عن هذه البلدة نود أن نستكشفها.

[يذهب لوسط المسرح. أثناء الحديث التالى، تقل الإضاءة وتخفت تدريجياً حتى تصل للإظلام التام إلا من بقعة ضوء على الشخصية نفسها].

أظن أن هذا هو الوقت المناسب لكى أقول لكم أن أصحاب المصالح والأسهم من أسرة كارترايت قد شرعوا فى إنشاء بنك جديد فى جروفرز كورنرز؛ ويؤسفنى أن

أقول أنهم أضطروا للسفر إلى فيرمونت لإحضار الرخام المطلوب للبناء من هناك، وأنهم قد سألوا صديقاً لى أن يشور عليهم بما يمكن أن يضعوه فى حجر أساس المبنى بحيث يجده أولئك الذين سيقومون بأعمال الحفر بعد ألف سنة من الآن... وبالطبع، فقد وضعوا نسخة من صحيفة الـ «نيويورك تايمز» وكذلك نسخة من جريدة «الحارس» للسيد ويب... وما جعلنا جميعاً نهتم بذلك الأمر هو أن بعض الحاذقين فى العلوم قد توصلوا إلى طريقة لحفظ هذه المطبوعات ربما لألف عام أو ألفين، وذلك عن طريق طلائهابطبقة من الصمغ ـ صمغ السليكا.

كما أننا سنضع أيضاً نسخة من الإنجيل... ونسخة من دستور الولايات المتحدة ـ ونسخة من مسرحيات وليم شكسبير. ماذا تقولون ياسادة؟ ما هو رأيكم فى هذا؟

كما تعرفون جميعاً أن بابل كان بها مليونان من السكان، ومع ذلك لم يصلنا عنها سوى أسماء الملوك، وبعض الصور من عقود صفقات القمح.. وبيع العبيد. ورغم ذلك ففى كل ليلة كانت تلك الأسر الكثيرة تجلس معاً لتناول طعام العشاء، ويعود الأب من عمله آخر اليوم إلى داره، ويتصاعد الدخان من المداخن... تماماً كما يحدث الآن فى بلدتنا. وحتى فى اليونان وروما، كل ما نعرفه عن حياة الناس الحقيقية فيهما نستخلصه من القصائد الفكهة

والكوميديات التى كتبوها للمسرح فى تلك الأزمان. لذلك سأعمل على أن نضع نسخة من هذه المسرحية فى حجر أساس هذا المبنى، بحيث يمكن للناس بعد ألف سنة من الآن أن يعرفوا بعض الحقائق البسيطة عن حياتنا ـ أكثر مما يمكن أن يعرفوه عن معاهدة فرساى ورحلة طيران لندبرج.

هل تفهمون ما أعنى؟

وهكذا، سيعرف الناس بعد ألف سنة من الآن ـ أن هذا كان حالنا فى الولايات الواقعة فى شمال نيويورك فى بداية القرن العشرين... هكذا كنا: هكذا كنا نكبر ونتزوج ونحيا ونموت.

[لقد بدأت فرقة الإنشاد والترتيل القابعة فى مكان الأوركسترا تنشد «تباركت الصلة التى تربطنا».

ويقف سايمون ستيمسون ليقود الفرقة. كما تم وضع سلمان على خشبة المسرح؛ وهما يمثلان الطابق العلوى فى منزلى السيد جيبز والسيد ويب، لذا يصعد عليهما جورج وإميلى وينكبان لاستذكار دروسهما.

أيضاً لقد دخل الدكتور جيبز المطبخ وجلس يقرأ].

حسناً! لقد مر وقت طويل. ونحن فى المساء الآن. ونستطيع أن نسمع التدريب على الترتيل والإنشاد فى الكنيسة الأبرشية المستقلة.

الأولاد جميعاً فى بيوتهم يؤدون ما عليهم من واجبات مدرسية. اليوم يضمحل ويخبو كساعة منهكة.

سايمون ستيمسون : والآن استمعوا إلى جميعاً. لقد وجُدت الموسيقى فى هذا العالم لإسعادنا. ليكن إنشادكم بصوت هادئ منخفض. اخرجوا من رؤوسكم فكرة أن الموسيقى لا تكن جميلة إلا إذا كان الصوت مرتفعاً؟! فالتتركوا الغناء بصوت مرتفع للمنشدين الميثوديين، وفى هذا الصدد لن يمكنكم أن تتفوقوا عليهم حتى لو أردتم. والآن حاولوا مرة أخرى.

أصوات رجالى مرتفعة!

جـــــورج: إميلى! إميلى!

إمـــيـلـى : أهلاً.

جـــــورج: أهلاً.

إمـــيـلـى : لا أستطيع التركيز نهائياً. إن ضوء القمر فظيع.

جـــــورج: إميلى، هل تمكنتى من فهم المسألة الثالثة؟

إمـــيـلـى : أية مسألة؟

جـــــورج: الثالثة؟

إمـــيـلـى : طبعاً، ياجورج فهى أسهلهم جميعاً.

جـــــورج: أنا لم أستطع حلها. هلا ساعدتينى قليلاً فى فهمها؟

إمـــيـلـى : سأقول لك شيئاً واحداً: إن الإجابة بالياردات.

جـــــورج: الياردات؟ ما معنى ذلك؟

إمـــيـلـى : بالياردات المربعة.

جـــــــــــورج: آه... بالياردات المربعة.

إمـــــــــيلـى : نعم، ياجورج. ألا ترى؟

جـــــــــــورج: أجل.

إمـــــــــيلـى : بالياردات المربعة من ورق الحائط.

جـــــــــــورج: ورق الحائط ـ آه، فهمت. شكراً جزيلاً يا إميلى.

إمـــــــــيلـى : لا عليك. انظر! ما أروع ضوء القمر الليلة! وتدريب الفرقة على الإنشاد لا يزال مستمراً. أتصور إنك لو حبست أنفاسك لفترة لاستطعت أن تسمع صوت القطار على طول الطريق إلى كونتوكوك. أتسمعه؟

جـــــــــــورج: (يغمغم) شيء عجيب!

إمـــــــــيلـى : حسناً، أعتقد أنه من الأفضل لى أن أحاول العودة لدروسى مرة أخرى.

جـــــــــــورج : تصبحين على خير، يا إميلى. وشكراً لك.

إمـــــــــيلـى : تصبح على خير ياجورج.

سايمون ستيمسون : الآن وقبل أن أنسى، من منكم سيتمكن من الحضور يوم الثلاثاء ظهراً للغناء فى حفل زواج فريد هيرسى؟ ـ ارفعوا أيديكم ـ تماما. هذا جميل وفيه الكفاية. سنعزف نفس الموسيقى التى شاركنا بها فى حفل زواج جين تروبرد ج الشهر الماضى.

والآن لننشد «هل أنت متعب؛ هل أنت واهن؟».

والآن سيداتى سادتى، إن هذه الأنشودة هى تساؤل،

فاجعلوها تنطق! هيا استعدوا.

الدكتور جيبز : جورج، هل يمكنك أن تأتى عندى لحظة؟

جورج : نعم، يا أبى.

[جورج ينزل السلم].

الدكتور جيبز : استرح فى جلستك ياجورج؛ ستبقى لمدة دقيقة واحدة فقط.

كم عمرك، ياجورج؟

جورج : عمرى أنا! إنى فى السادسة عشرة، أكاد أبلغ السابعة عشرة.

الدكتور جيبز : وماذا تنوى أن تصنع بعد أن تترك المدرسة؟

جورج : إنك تعلم يا أبى أننى أود أن أكون مزارعاً فى مزرعة عمى لوقا.

الدكتور جيبز : هل معنى ذلك أنك ستكون على استعداد للاستيقاظ مبكراً لتحلب الماشية وتطعمها... وكذلك هل ستكون قادراً على تقطيع العشب وتجفيفه طوال اليوم؟

جورج : بالتأكيد سأفعل. ولكن ماذا تقصد يا أبى؟

الدكتور جيبز : حسناً، يا جورج، بينما كنت فى حجرة مكتبى اليوم سمعت صوتاً غريباً.... وتصور من أين جاء هذا الصوت؟ كان يصدر عن تقطيع أمك بعض الخشب! والآن انظر إلى إمك لترى ماذا تفعل كل يوم ـ إنها تستيقظ مبكرة، وتنهمك فى إعداد الطعام طوال اليوم، وتغسل وتكوى ـ ثم

عليها بعد هذا كله أن تذهب إلى فناء المنزل الخلفى لتقوم بتقطيع الخشب. وأظن أنها تفعل ذلك لأنها قد تعبت من تكرار طلبها منك أن تقوم أنت بذلك. ولما لم تعد تجد سؤالها لك مجدياً قررت أنه من الأسهل كثيراً عليها أن تقوم هى بتلك المهمة. إنك تأكل الطعام الذى تعده لك، وترتدى الملابس التى تعتنى هى بها من أجلك أنت. ثم تأتى أنت ولا تفعل شيئاً سوى لعب كرة البيسبول، كما لو كانت أمك أجيرة استبقيناها بالمنزل ولا نحبها كثيراً. كنت أعرف أنه يكفى أن ألفت انتباهك إلى هذا. خذ هذا المنديل، يابنى. وأعلم ياجورج إننى قد قررت أن أزيد مصروفك ٢٥ سنتاً فى الأسبوع، ولكن بالطبع ليس ذلك مقابل قيامك بتقطيع الخشب لأمك، فأنت تفعل ذلك إرضاء لأمك، إنما هذه الزيادة لأنك كبرت الآن – ويخيل إلى أن هناك الكثير من الأشياء التى تحتاجها.

جورج : أشكرك يا أبى.

الدكتور جيبز : والآن الموقف كالتالى – إن غداً هو موعد تسلمك راتبك بعد هذه الزيادة. وهذا بالطبع يعنى أن ربيكا ربما تتوقع زيادة فى مصروفها هى الأخرى. أنا لا أفهم ما الذى يمكن أن يكون قد حدث لأمك! فالتدريب على الترتيل لم يتأخر قط إلى مثل هذه الساعة من قبل.

جورج : إن الساعة لم تتجاوز الثامنة والنصف، يا أبى.

الدكتور جيبز : إننى لا أعرف لماذا انضمت إلى هذه الفرقة القديمة المتهالكة. إن لها صوتاً يشبه صوت غراب هرم.... ورغم ذلك تتجول فى الشوارع حتى هذه الساعة المتأخرة من الليل... جورج، لقد حان موعد نومك ، أليس كذلك؟

جورج : نعم، يا أبى.

[يصعد جورج إلى مكانه أعلى السلم. نسمع ضحكات وكلمات وداع وتمنى تأتى من يسار المسرح، ثم تظهر السيدة جيبز والسيدة سومز والسيدة ويب قادمات من الشارع الرئيسى. وعندما يصلن إلى منتصف المسرح يتوقفن].

السيدة سومز : تصبحين على خير، يامارثا. تصبح على خير، ياسيد فوستر.

السيدة ويب : سأخبر السيد ويب بذلك. أعرف أنه سيرغب فى نشر هذا الخبر فى الجريدة.

السيدة جيبز : معقولة! إن الوقت متأخر جداً!

السيدة سومز : تصبحين على خير، يا إرما.

السيدة جيبز : لقد كان التدريب هذه الليلة رائعاً حقاً، أليس كذلك؟ ميرتل ويب، أنظرى إلى القمر! أليس بديعاً؟ إنه جو مناسب لنمو البطاطس، بكل تأكيد.

[فترة صمت، يتطلعون فيها إلى القمر].

السيدة سومز : أنا بالطبع لم أشأ أن أتحدث معك فى هذا الموضوع أمام

الآخرين. ولكن الآن وفيما بيننا، فإننى أؤكد أن هذه بحق أسوأ فضيحة عرفتها هذه البلدة!

السيدة جيبز : ما هى هذه الفضيحة؟

السيدة سومز : سايمون ستيمسون.

السيدة جيبز : كفى عن هذا؟ يالويللا.

السيدة سومز : ولكن، ياجوليا! أيعقل أن يظل عازف الأورغن فى الكنيسة هكذا مدمناً للخمر على مر السنين! فأنت تعلمين أنه كان مخموراً هذه الليلة أيضاً؟

السيدة جيبز : من فضلك، يالويللا! إننا جميعاً نعرف هذا عن السيد ستيمسون، ونعرف أيضاً المشاكل والمتاعب التى كان عليه أن يواجهها. كما يعرفها الدكتور فيرجسون أيضاً. وإذا كان الدكتور فيرجسون يترك ستيمسون فى وظيفته رغم كل ذلك، فلا أقل بالنسبة لنا من أن نحاول أن نتغاضى عن ذلك الأمر أيضاً.

السيدة سومز : نتغاضى عنه! ولكن الموقف يزداد سوءاً.

السيدة ويب : لا، هذا ليس صحيحاً، يالويللا. إنه يتحسن. إن وجودى فى هذه الفرقة هو ضعف مدة وجودك بها. وأنا أقول لك أن هذا الأمر لم يعد يحدث كثيراً الآن... رباه! إننى اكره أن أنام فى ليلة مُقمرة كهذه ــ ومع ذلك يحسن بى أن أسرع فى العودة وإلاسيسهر الأولاد إلى ما شاء الله. تصبحين على خير يالويللا.

[يتبادلن التحيات. وتسرع السيدة ويب نحو مقدمة المسرح وتدخل منزلها وتختفى].

السيدة جيبز : هل الطريق إلى منزلك آمن، يالويللا؟

السيدة سومز : إنها ليلة مضيئة كضوء النهار، حتى إنه بإمكانى أن أرى السيد سومز واقفاً خلف النافذة الآن عابس الوجه. إن الرجال يتذمرون وكأننا كنا فى حفلة راقصة.

[تتبادلان مزيداً من التحيات. تصل السيدة جيبز إلى منزلها وتدخل إلى المطبخ مروراً بالتكعيبة].

السيدة جيبز : لقد أمضينا وقتاً طيباً حقاً.

الدكتور جيبز : ولهذا تأخرت كثيراً.

السيدة جيبز : ولكنى لم اتأخر أكثر من المعتاد يافرانك.

الدكتور جيبز : وفى الآخر تقفين للثرثرة والنميمة مع نسوة حمقاوات ثرثارات.

السيدة جيبز : كف عن هذا الآن، يافرانك، ولا تكن غضوباً. هيا بنا إلى الحديقة لنستمتع برائحة أزهار عباد الشمس فى ضوء القمر.

[يتهاديان متأبطين أمام الأنوار الأمامية].

أليس هذا رائعاً؟ ماذا فعلت أثناء غيابى؟

الدكتور جيبز : أوه .. قرأت .. كالعادة.. فيما كانت ثرثرة النساء الليلة؟

السيدة جيبز : صدقنى يافرانك ـ إن هناك ما يستوجب هذه الثرثرة.

الدكتور جيبز : أفرط ستيمسون فى الشراب. أليس كذلك؟

السيدة جيبز : كان فى أسوأ حالاته. كيف ستكون نهاية كل ذلك، يافرانك؟ فالدكتور فرجسون لن يظل يصفح عنه مدى الحياة.

الدكتور جيبز : أظننى أعرف ظروف سايمون ستيمسون أكثر من أى إنسان آخر فى هذه البلدة. فهناك أناس لم يخلقوا للعيش فى مثل هذه الأماكن الصغيرة المحدودة. وأنا لا أدرى كيف سينتهى هذا الموضوع، ولكن ليس بمقدورنا أن نفعل أى شىء سوى أن نترك الأمور تسير كما هى. والآن هيا بنا إلى الداخل.

السيدة جيبز : لا، يافرانك. ليس الآن. إننى قلقة عليك يافرانك.

الدكتور جيبز : ما الذى يقلقك؟

السيدة جيبز : اعتقد أنه من واجبى أن أرتب لك ما يضمن لك التغيير والراحة. ولسوف أصر على فعل ذلك إن حصلت على ذلك الميراث.

الدكتور جيبز : جوليا عزيزتى، لا داعى لفتح هذا الموضوع مرة أخرى.

السيدة جيبز : إنك عنيد وغير معقول، يافرانك!

الدكتور جيبز : *[يدخل المنزل]*. هيا بنا ياجوليا، فالوقت متأخر. وقبل أن تدرين ستصابين بالبرد. لقد عاتبت جورج الليلة، وأتصور أنك لن تضطرين لتقطيع الخشب بعد ذلك، ولو لبعض الوقت على الأقل. لا، لا،! إصعدى السلالم.

السيدة جيبز : يا إلهى. دائماً هناك أشياء مبعثره يجب التقاطها. اتعلم

يافرانك أن السيدة فيرتشايلد دائماً تغلق بابها الأمامى كل ليلة. بل إن معظم الناس فى هذا الجزء من البلدة يفعلون ذلك.

الدكتور جيبز : *[وهو يطفئ اللمبة]* لقد بدأوا يتطبعون بطباع أهل المدن الكبيرة، وهذه مشكلتهم. فالكل يعلم أنه ليس هناك ما يغوى بالسرقة.

[يختفيان عن الأنظار. تصعد ربيكا إلى جوار جورج على السلم].

جورج : إنزلى، ياربيكا. فالمكان هنا بجوار النافذة لا يتسع سوى لشخص واحد. إنك دائماً تفسدين كل شىء.

ربيكا : فقط دعنى أنظر دقيقة واحدة.

جورج : يمكنك أن تنظرى من نافذتك.

ربيكا : هذا ما فعلته، ولكننى لم أجد القمر هناك... جورج، أتعرف فيما أفكر؟ أفكر فى أن القمر ربما بدأ يقترب منا أكثر فأكثر وسوف يحدث إنفجار كبير.

جورج : إنك لا تعرفين أى شىء، ياربيكا. فلو تصادف واقترب القمر أكثر فأكثر لكان أول من يراه هم هؤلاء الرجال الذين يجلسون أمام التلسكوب طوال الليلة ولأذاعوا النبأ، ولوجدنا الخبر منشوراً فى جميع الصحف.

ربيكا : جورج، هل يسطع ضوء القمر أيضاً فى أمريكا الجنوبية وكندا، وكذلك فى النصف الآخر من العالم كله؟

جـــــــــــورج : نعم.. من المحتمل.

[يدخل مدير خشبة المسرح. برهة صمت. نسمع صوت الجُدْجُد].

مدير خشبة المسرح : إنها التاسعة والنصف الآن، وقد انطفأت معظم الأنوار. لكن لم يخلو المكان تماماً، فلا يزال الشرطى وارين يتأكد من إغلاق بعض الأبواب فى الشارع الرئيسى. وها هو المحرر ويب قادماً بعد أن انتهى من إعداد جريدته.

[يدخل السيد وارين، وهو رجل شرطة مُسِن، من يمين الشارع الرئيسى، ويدخل السيد ويب المحرر من اليسار].

الســـــيـــد ويب : مساء الخير، يابيل.

الشـــــرطى وارين : مساء الخير، سيد ويب.

الســـــيـــد ويب : قمر رائع!

الشـــــرطى وارين : فعلاً.

الســـــيـــد ويب : كل شىء هادئ الليلة؟

الشـــــرطى وارين : سايمون ستيمسون لا يزال يتجول خارج المنزل. وقد رأيت زوجته توا خارجة تبحث عنه، فأدرت وجهى بعيداً عنها ـ ها هو قادم الآن.

[يدخل سايمون ستيمسون من يسار الشارع الرئيسى، وتنم مشيته عن شىء من *عدم الاتزان].*

الســـــيـــد ويب : *مساء الخير ياسايمون... يبدو أن البلدة* قد هدأت واستعدت *للنوم...*

[يقترب سايمون ستيمسون جداً من السيد ويب، ويتوقف لبرهة مُحدقاً فيه، ومترنحاً قليلاً].

مساء الخير... أقول إن البلدة قد هدأت واستعدت للنوم يا سايمون.... وأظن أننا يجدر بنا أن نفعل نفس الشئ. هل لى أن أصحبك فى طريقك؟

[سايمون ستيمسون يواصل سيره دون أن يلفظ بكلمة واحدة ويختفى فى عمق الليل من ناحية اليمين].

تصبح على خير.

الشرطى وارين : لا أعرف كيف ستكون نهاية هذا كله، ياسيد ويب.

السيد ويب : لقد واجه الكثير من المشاكل... المشكلة تلو الأخرى.... أرجوك يابيل إن رأيت إبنى يدخن السجائر فحدثه عن خطورة ذلك. أرجوك لا تنسى. إنه يقدرك ويحترمك، يابيل.

الشرطى وارين : لا أظن أنه يدخن السجائر ياسيد ويب. أو على الأقل ليس أكثر من سيجارتين أو ثلاث طول العام.

السيد ويب : آه.. أرجو ذلك ـ تصبح على خير يابيل.

الشرطى وارين : تصبح على خير ياسيد ويب.

[يخرج الشرطى وارين].

السيد ويب : من هناك بأعلى؟ أهذا أنت ياميرتل؟

إميلى : لا، بل أنا، يا أبى.

السيد ويب : ولماذا لم تنامين؟

إميلى : لا أدرى. ولكننى لا أستطيع النوم بعد، يا أبى. إن ضوء

القمر فى غاية الرو...عة. وهناك رائحة أزهار عباد الشمس فى حديقة السيدة جيبز! هل تشمها يا أبى؟

السيد ويب : نعم.. نعم. هل هناك متاعب تؤرقك، يا إميلى؟

إميلى : متاعب؟ لا، يا أبى.

السيد ويب : إذن، فالتستمتعى بقمرك الرائع، ولكن إحذرى أن تراكى أمك. تصبحين على خير، يا إميلى.

إميلى : تصبح على خير ، يا أبى.

[يتجه السيد ويب نحو المنزل وهو يَصْفِرُ أنشودة «تباركت الصلة التى تربطنا»، ثم يختفى عن الأنظار].

ربيكا : إننى لم أحكى لك أبداً عن ذلك الخطاب العجيب الذى تلقته جين كروفت من راعى كنيسة البلدة عندما كانت مريضة. لقد كتب خطابا إلى جين، وكان العنوان الذى كتبه على الظرف كما يلى: جين كروفت، مزرعة كروفت، جروفرز كورنرز، مقاطعة ساتون، نيوهامبشير، الولايات المتحدة الأمريكية.

جورج : وما الغريب فى هذا؟

ربيكا : استمع لباقى العنوان، إنه لم ينته بعد: الولايات المتحدة الأمريكية، قارة أمريكا الشمالية، نصف الكرة الأرضية الغربى، الكرة الأرضية، النظام الشمسى، الكون، عقل الله ـ هذا كله مكتوب فى العنوان على الظرف.

جورج : شىء غريب!

ربيـــــكـــا : ورغم ذلك أحضره إليها ساعى البريد.

جـــــــورج : شئ غريب!

مدير خشبة المسرح : هذه هى نهاية الفصل الأول، يا أصدقائى. من يدخن منكم، يستطيع الذهاب الآن للتدخين.

الفصل الثانى

[فوق خشبة المسرح لم نعد نرى سوى مائدتى وكراسى المطبخين، حيث تم سحب السلمين والمقعد الصغير.
كما نرى مدير خشبة المسرح وقد وقف فى مكانه المعتاد يراقب المتفرجين وهم يعودون إلى أماكن جلوسهم فى القاعة].

مدير خشبة المسرح :

لقد انقضت ثلاث سنوات.

أطلت علينا الشمس فيها أكثر من ألف مرة. ولقد تشققت الجبال أكثر قليلاً لتعاقب الشتاء والصيف عليها طوال هذه المدة، كما أن الأمطار قد جرفت فى طريقها بعض الوحل. وبعض الأطفال الذين لم يكونوا قد ولدوا بعد أصبحوا قادرين على الكلام فى جمل سليمة. بل إن بعض الناس ممن كانوا يعدون أنفسهم من الشباب ويفيضون حيوية ونشاطاً قد لاحظوا أنه لم يعد بمقدورهم أن يصعدوا بعض درجات السلم قفزا دون أن تتسارع دقات قلوبهم قليلاً. لقد حدث كل هذا وغيره فى ألف يوم.

لقد كانت الطبيعة تعمل وتدبر فى مجالات أخرى أيضاً: فقد وقعت مجموعة من الشباب

فى الحب وتزوجوا. وتآكل جزء صغير جداً من الجبل، كما استهلك المصنع الملايين من غالونات المياه؛ وشيدت المبانى واستقرت فيها الأسر.

إن الناس فى جميع أنحاء العالم يتزوجون، أليس كذلك؟ ويندر أن يوجد فى بلدتنا من يشذ عن هذه القاعدة. وغالبية الناس يدركهم الموت وهم متزوجون.

وإذا كان اسم الفصل الأول فى هذه المسرحية هو «الحياة اليومية»، و اسم هذا الفصل «الحب والزواج»، فأظنكم تستطيعون تخمين موضوع الفصل الثالث والأخير.

والآن:

لقد انقضت ثلاث سنوات.. ونحن الآن فى عام ١٩٠٤. وتحديداً فى السابع من شهر يوليو، وذلك بعد حفل التخرج من المدرسة الثانوية مباشرة، وهو الوقت الذى يتحمس فيه معظم شباب بلدتنا للزواج.

فهم لا يكادون يفرغون من امتحاناتهم النهائية فى الهندسة الفراغية وخُطب شيشيرون، حتى يشعرون أنهم أصبحوا فى كامل لياقتهم واستعدادهم للزواج.

إننا الآن فى الصباح الباكر، ولكن الجو مطير هذه المرة ؛ منذ الأمس والسماء ترعد وتمطر مطراً غزيراً.

وها هما حديقتا السيدة جيبز والسيدة ويب وقد غمرتهما مياه الأمطار، فأغرقت الفاصوليا والبازلاء.

وطوال أمس كانت الأمطار الغزيرة تبدو فى الشارع الرئيسى وكأنها ستائر تحركها الرياح.... وقد يهطل المطر مرة أخرى فى أى وقت الآن!

وهناك! يمكنكم سماع قطار الساعة الخامسة وخمس وأربعون دقيقة المتجه إلى بوسطن.

[السيدة جيبز والسيدة ويب تدخل كل منهما مطبخها لإعداد الطعام كما فعلتا فى بداية

الفصل الأول].

ها هى السيدة جيبز والسيدة ويب تهبطان الدرج لإعداد طعام الفطور، وكأنه يوم عادى كباقى أيام حياتهما. ولست بحاجة لأن أذكر النساء من المتفرجين هنا أن هاتين السيدتين اللتين أمامهما الآن ظلتا تعدان الطعام، إحداهن طوال عشرين عاماً، والأخرى أربعين، ثلاث مرات فى كل يوم، دون أن تحصلا ولو على عطلة صيفية واحدة. وقد أنجبت كل واحدة منهما طفلين، وقامت بتربيتهما، وظلت تغسل، وتطبخ، وتنظف المنزل كل هذا الوقت دون أن تصاب ولو مرة بانهيار عصبى.

وهذا يذكرنى بقول أحد شعراء وسط غرب أمريكا: إن عليك أن تحب الحياة لكى تمتلك الحياة، وعليك أن تمتلك الحياة لكى تحب الحياة...

إنها حلقة مُفرغةٌ، كما يقولون.

هاوى نوسم : *[نسمع صوته قادماً من يسار المسرح]*
هيا تحركى، يابيسى!

مدير خشبة المسرح : وهذا هو هاوى نوسم قد جاء ليوزع اللبن، كعادته. وها هو سى كرويل يقوم بتوزيع الجرائد، كأخيه من قبله.
[سى كرويل وقد دخل المسرح ويلقى بجرائد وهمية أسفل الأبواب. وقد ظهر أيضاً هاوى نوسم فى الشارع الرئيسى ومعه فرسته بيسى].

سى كرويل : صباح الخير، ياهاوى.

هاوى نوسم : صباح الخير ياسى ـ هل هناك أخبار تستحق أن أعرفها فى الجريدة اليوم؟

سى كرويل : لا شئ يذكر سوى أننا قريباً سنخسر أفضل لاعب بيسبول عرفته جروفرز كورنرز - جورج جيبز.

هاوى نوسم : هو فعلاً كذلك.

سى كرويل : كان بمقدوره أن يضرب الكرة ويجرى بها على الخطوط، أيضاً.

هاوى نوسم : نعم. كان لاعباً من الطراز الأول. إثبتى، يابيسى! أظن أنه من حقى أن أقف واتحدث إذا رغبت فى ذلك!

سى كرويل : إننى لا أستطيع أن أفهم كيف يترك جورج مركزه المتميز هذا لا لشئ سوى الزواج. هل كنت لتفعل مثله ياهاوى؟

هاوى نوسم : ليس لدى ما أقوله، ياسى، فلم أكن موهوباً أبداً فى هذه الناحية.

[يدخل الشرطى وارين، ويتبادلون التحية].

لقد أتيت مبكراً اليوم، يابيل.

الشرطى وارين : أحاول أن أرى إذا كان يمكن عمل شئ لمنع الفيضان. لقد ظلت المياه ترتفع فى النهر طوال الليل.

هاوى نوسم : ومع ذلك فلا شيء يشغل سى كرويل سوى جورج جيبز واعتزاله كرة البيسبول.

الشرطى وارين : نعم، ياسيدى. هكذا هى الحياة. ففى عام ١٨٨٤ كان عندنا لاعب بيسبول متميز يُدعى هانك تود، ولم يكن بوسع أحد أن يجاريه، ولا حتى جورج جيبز نفسه. تركنا وسافر إلى بلدة مين، حيث أصبح قساً هناك. كان لاعباً

رائعاً ـ كيف ترى الطقس ياهاوى؟

هاوى نوسم : لا بأس به. وأظن أنه سيصفو تماماً بعد قليل.

[يواصل الشرطى وارين وسى كرويل طريقهما . أما هاوى فيأخذ اللبن إلى منزل السيدة جيبز، التى تقابله بجانب التكعيبة].

السيدة جيبز : صباح الخير، ياهاوى. أتظن أنها ستمطر مرة أخرى؟

هاوى نوسم : صباح الخير، ياسيدة جيبز. لقد أمطرت بشدة، وأظنها ستصفو الآن.

السيدة جيبز : إننا بالتأكيد نتمنى ذلك.

هاوى نوسم : أى مقدار تريدين اليوم؟

السيدة جيبز : سيمتلئ المنزل بالأقارب اليوم. لذا فسآخذ ثلاثة كيلو لبن واثنين قشدة.

هاوى نوسم : أوصتنى زوجتى بإبلاغك تمنياتنا للعروسين بحياة زوجية سعيدة. ونحن على ثقة من أنهما سيكونان سعيدين.

السيدة جيبز : أشكرك كثيراً، ياهاوى. اخبر زوجتك أننى أتوقع حضورها حفل الزفاف.

هاوى نوسم : نعم ستحضر، ستأتى إن أمكنها ذلك.

[يتجه هاوى نوسم إلى منزل السيدة ويب].

صباح الخير، ياسيدة ويب.

السيدة ويب : صباح الخير، ياسيد نوسم. طلبت منك أربعة كيلو لبن، ولكننى أرجو أن تعطينى كيلو آخر إن إمكن.

هـــاوى نـــوســـم : حاضر، ياسيدتى... وإثنين كيلو من القشدة.

الســـيـــدة ويب : هل ستمطر مرة أخرى اليوم؟

هـــاوى نـــوســـم : كنت أقول للسيدة جيبز منذ قليل إن الجو ربما يصفو. أوصتنى زوجتى بإبلاغك تمنياتنا للعروسين بحياة زوجية سعيدة. ياسيدة ويب. ونحن على ثقة من أنهما سيكونان سعيدين.

الســـيـــدة ويب : شكراً لك وللسيدة نوسم. ونحن نأمل أن نراكما فى حفل الزواج.

هـــاوى نـــوســـم : نعم، سنحضر، ياسيدة ويب. فليس بإمكاننا أن نتغيب عن مناسبة كهذا. هيا، يابيسى.

[يخرج هاوى نوسم.

ينزل الدكتور جيبز بالقميص، ويجلس إلى مائدة الطعام].

الدكـتـور جـيـبـز : هيه يا عزيزتى. أخيراً جاء اليوم المشهود، وستفقدين واحدا من صغارك.

الســيـدة جـيـبـز : أتركنى وشأنى من فضلك، يافرانك جيبز. فإننى أشعر بالرغبة فى البكاء فى كل لحظة. إجلس وإشرب قهوتك فى صمت.

الدكـتـور جـيـبـز : إن العريس بأعلى، يحلق ذقنه، وهو يصفر ويغنى، وكأنه يشعر بالسعادة لأنه سيتركنا. ـــ ولا يلبث من وقت لآخر أن ينظر فى المرآة ويقول «أنا لها»، ولكنى لا أثق فيه كثيراً.

السـيـدة جيـبـز : في الحقيقة، يافرانك، أنا لا أدرى كيف سيكون حاله بعد اليوم. لقد قمت بترتيب ملابسه، وتأكدت إنه ارتدى ملابس دافئة. ـ إنهما صغيران جداً، يافرانك! لن تخطر مثل هذه الأمور على بال إميلى. إننى أخشى أن يموت جورج من البرد فى ظرف أسبوع.

الدكتـور جـيـبـز : آه ياجوليا كنت أتذكر صباح يوم زفافى .

السـيـدة جيـبـز : لا تبدأ هذا الموال، يافرانك جيبز.

الدكتـور جـيـبـز : لم يكن هناك من يفوقنى خوفاً فى كل ولاية نيوهامبشير. كنت واثقاً أننى سأخطئ فى شئ حتماً وعندما وقعت عيناى عليك وأنت تمرين بين المقاعد فى الكنيسة قلت فى نفسى إنك أجمل بنت رأيتها فى حياتى. وكان الشئ الوحيد الذى أزعجنى هو أننى لم أكن قد رأيتك من قبل. ووجدتنى فى الكنيسة أتزوج فتاة غريبة عنى تماماً.

السـيـدة جيـبـز : وهل يمكنك أن تتصور مشاعرى أنا فى ذلك الوقت؟ ـ إن حفلات الزفاف أشياء بشعة، يافرانك. إنها مسرحيات هزلية، ليس أكثر.

[تضع أمامه طبق].

لقد أعددت لك هذا.

الدكتـور جـيـبـز : ياه ـ خبز فرنسى ياجوليا هرسى!

السـيـدة جيـبـز : لم أجد صعوبة فى إعداده. كان على أن أفعل شيئاً.

[فترة صمت ثم يصب الدكتور جيبز الشراب على الخبز].

الدكتور جيبز : هل نمت بالأمس جيداً، ياجوليا؟

السيدة جيبز : فى الحقيقة مرت ساعات طويلة قبل أن أغفوا.

الدكتور جيبز : وأنا أيضاً. كلما تصورت جورج ـ هذا الصبى الطويل، النحيف، المرتبك ـ مسئولاً عن أسرة ينتابنى شعور بالصدمة. صدقينى ياجوليا، ليس فى العالم شيئاً يرعب المرء مثل الإبن، فعلاقة الأب بإبنه هى أصعب العلاقات وأكثرها حساسية.

السيدة جيبز : ومن قال لك إن علاقة الأم بإبنتها هى نوع من النزهة الخلوية؟

الدكتور جيبز : لاشك أنهما سيقابلان مشاكل كثيرة. لكن هذا ليس شأننا، فمن حق كل إنسان أن يعالج مشاكله بنفسه.

السيدة جيبز : *[على المائدة تشرب قهوتها، متأملة ما تقول].*

نعم... لا معنى للحياة بلا شريك، وليس طبيعياً أن يحيا الإنسان وحيداً.

[وقفة قصيرة، بعدها يبدأ الدكتور جيبز فى الضحك].

الدكتور جيبز : أتعرفين ياجوليا ماذا كان يخيفنى عندما تزوجتك؟

السيدة جيبز : كف عن هذا المزاح.

الدكتور جيبز : كنت أخشى ألا نجد مادة للحديث بعد أسابيع قليلة من زواجنا.

[يضحكان معاً].

كنت أخشى ألا نجد ما نقوله ونتناول طعامنا فى صمت

ثقيل. ولكن ها نحن، أنت وأنا، معاً لمدة عشرين عاماً لم ينقطع فيها الحديث بيننا، ولم تعرف فترات الصمت العقيم طريقها الينا.

السيدة جيبز : قد لا يكون الحديث عن الطقس وتقلباته هو أفضل الموضوعات، ولكننى دائماً أجد ما أقوله لك.

[تذهب إلى أسفل السلم].

هل سمعت ربيكا تتحرك فى الدور الأعلى؟

الدكتور جيبز : لا. إنها المرة الأولى هذا العام التى لا تهتم فيها ربيكا بإدارة شئون الجميع فى الدور العلوى. إنها تختبئ فى غرفتها - ويخيل إلى أنها تبكى.

السيدة جيبز : ياربى! علينا أن نضع حداً لكل هذا - ربيكا! ياربيكا! إنزلى وتناولى إفطارك.

[ينزل جورج السلالم بسرعة وخفة محدثا جلبة].

جورج : صباح الخير عليكم جميعاً. بقى من حياتى خمس ساعات فقط. بعدها ...

[يوحى بيده بقطع رقبته، ويطلق حشرجات عالية ثم يندفع خارج المنزل].

السيدة جيبز : إلى أين، ياجورج جيبز؟

جورج : الى حديقة الجيران لأرى فتاتى؟

السيدة جيبز : إذن أرتدى حذاء المطر، ياجورج. فالأمطار تهطل بشدة. لن تخرج من هذا المنزل دون أن تؤمن نفسك جيداً.

جـــــــــــــورج : أف يا ماما! إنها مجرد خطوة من المنزل!

السـيـدة جيبز : جورج! ستصاب ببرد قاتل وتسعل طول الوقت أثناء عقد القران. .

الدكتور جيبز : إفعل ما تطلبه أمك، يا جورج!

[يصعد الدكتور جيبز السلم.

يعود جورج إلى المطبخ على مضض، ويوحى لنا بأنه يرتدى حذاء المطر].

السـيـدة جيبز : ابتداء من غد، بإمكانك أن تقتل نفسك فى أى وقت تشاء، ولكن ما دمت فى بيتى، فسوف تلتزم بالعقل والحكمة من فضلك ـ ثم إن السيدة ويب قد لا يروقها أن يزورها أحد فى السابعة صباحاً. فأشرب قهوتك، أولاً.

جـــــــــــــورج : دقيقة واحدة وسأعود.

[يعبر المسرح، قافزاً فوق حُفر مياه المطر الموحلة].

صباح الخير ياسيدة ويب.

السـيـدة ويب : رباه! لقد أفزعتنى! ـ والآن ياجورج، يمكنك أن تحتمى هنا دقيقة من المطر، ولكنى، كما تعرف، لا أستطيع أن أدعوك للدخول.

جـــــــــــــورج : ولم لا ـ؟

السـيـدة ويب : كلانا يعرف جيداً ياجورج أن العريس لا يستطيع أن يرى عروسه فى يوم عقد القران إلا فى الكنيسة.

جـــــــــــــورج : معقولة! انها مجرد خرافة. ـ صباح الخير، ياسيد ويب.

[يدخل السيد ويب].

السيد ويب : صباح الخير، ياجورج.

جورج : أتؤمن بهذه الخرافة، ياسيد ويب؟

السيد ويب : إن بعض الخرافات فيها الكثير من الحكمة، ياجورج.

[يجلس إلى المائدة، ووجهه تجاه اليمين].

السيدة ويب : لقد التزم بهذه العادة الملايين من قبلك، ياجورج، ولن تكون أنت أول من يتمرد عليها.

جورج : كيف حال إميلى؟

السيدة ويب : إنها لم تستيقظ بعد، فأنا لم أسمع لها صوتاً حتى الآن.

جورج : أيعقل أن تكون إميلى لازالت نائمة؟!!!

السيدة ويب : لا غرابة فى ذلك. لقد سهرنا حتى ساعة متأخرة نحيك ملابسها ونحزم أمتعتها. والآن سأخبرك بما سأفعل: اجلس أنت هنا مع السيد ويب واشرب القهوة، وسأصعد أنا إلى الدور الأعلى لكى أمنعها من النزول حتى لاتراك. وإليك أيضاً بعض لحم الخنزير المقدد. ولكن أسرع وعد إلى بيتك.

[تخرج السيدة ويب. وتسود فترة صمت وإرتباك. يغمس السيد ويب كعكه مُحلاه فى قهوته. مزيد من الصمت].

السيد ويب : *[فجأة وبصوت مرتفع]*

أهلاً ، ياجورج. كيف حالك الآن؟

جورج : *[مفزوعاً ومختنقاً بالقهوة]*

آه، بخير، إننى بخير.

[صمت].

قل لى ياسيد ويب، ما هى الحكمة فى مثل هذه الخرافة؟

السيد ويب : كما تعرف، ياجورج، الفتاة فى صباح يوم زفافها لا تفكر سوى فى.... الملابس وأشياء أخرى من هذا القبيل. ألا تظن أن هذا هو السبب؟

جورج : نـ ـ عـ ـ م. لم يخطر لى هذا من قبل.

السيد ويب : كما إنها عادة ما تكون مرتبكة بعض الشىء فى يوم زفافها.

[صمت].

جورج : ليت المرء يستطيع أن يتزوج دون كل هذه الشكليات المزعجة.

السيد ويب : إن كل رجل على وجه الأرض قد تمنى هذا يوم زفافه، ولكن دون جدوى. فالنساء يا بنى هن اللاتى صنعن تقاليد حفلات الزفاف، وأثناء الاعداد لها، يسير كل شئ على هواهن. أما الرجل فيبدو صغيراً ضئيلاً فى هذه المناسبات يا جورج. فكل ما تحرص عليه كل هؤلاء النسوة الطيبات ويتكاتفن من أجله هو إتمام مراسم الزواج العلنية على أكمل وجه.

جورج : ولكنك ... أنت تؤمن بالزواج، ياسيد ويب، أليس كذلك؟

السيد ويب : *[بسرعة وحماس]* نعم، بالطبع؛ نعم، بالطبع. لا تسىء فهم

ما أقول، يابنى. فالزواج شىء رائع.. شىء رائع حقاً. تذكر ذلك دائماً، ياجورج.

جـــــــــــورج : سأتذكره، ياسيدى. ـ سيد ويب، كم كان عمرك حين تزوجت؟

الســـــيـــــد ويب : حسناً: كنت قد أنهيت دراستى بالكلية، ثم مضى بعض الوقت إلى أن استقرت أمور حياتى. أما السيدة ويب، فلم تكن تكبر إميلى كثيراً فى ذلك الوقت. ليس للسن أهمية كبيرة فى ذلك، ياجورج... أقصد مقارنة بأشياء... أخرى كثيرة.

جـــــــــــورج : ماذا تريد أن تقول، ياسيد ويب؟

الســـــيـــــد ويب : لا أدرى. ـ أكنت على وشك أن أقول شيئاً ما؟

[صمت].

كنت أفكر، ياجورج منذ بضعة ليالى، فى نصيحة أسداها إلىّ والدى عندما تزوجت. قال لى: حدد ياتشارلز منذ البداية من هو سيد البيت. ثم أضاف، وأفضل وسيلة لذلك أن تصدر أمراً، حتى ولو كان غريباً وبلا معنى، المهم أن تتعلم زوجتك إن تطيعك. وقال أيضاً: إذا بدر من زوجتك ما يضايقك ـ فى كلامها أو أفعالها ـ فأترك البيت مباشرة. إن ذلك سيجلو الموقف وستعرف هى من هو سيد البيت. آه.. وهناك شىء آخر، لقد قال والدى، إياك إياك أن تطلع زوجتك على ما معك من مال.

جـــــــــــــورج : ولكن ياسيد ويب... لا أعتقد إننى....

الســــيــــد ويب : ولكنى ياجـورج عملت بعكس نصيحة أبى تمامـاً، وعشت سـعـيداً طوال حـياتى الزوجـيـة. فـاليكن ذلك درسـاً لك، ياجـورج، لا تطلب نصـيـحـة من أحد أياً كـان فى أمـورك الشـخـصـيـة. ـ هل تفكر فى تربيـة الدجـا ج فى مـزرعتك، ياجورج؟

جـــــــــــــورج : أفكر فى ماذا؟

الســــيــــد ويب : هل تنوى مستقبلاً تربية الدجاج فى مزرعتك؟

جـــــــــــــورج : لم يهتم عمى لوقا بذلك أبداً، ولكنى أفكر ـ

الســــيــــد ويب : فمنذ بضعة أيـام، ياجورج، وصل إلى مكتبى كتـاب عن طـريقة فيلو فـى تربيـة الدجـا ج. أريد منك أن تقرأه. إننـى أفكر جدياً فى أن أبدأ بتربية الدجاج على نطاق ضيق فـى الفنـاء الخلفـى للمنزل، وسـأضع حـاضـنـاً للتـفـريخ فـى القبو ـ

[تدخل السيدة ويب].

الســــيـــدة ويب : هل عدت ياتشارلز للحديث عن ذلك الحاضن مرة أخرى؟ كنت أتصور أنكما تتحدثان فيما هو هام ومفيد.

الســــيــــد ويب : *[بشىء من التهكم]*

اسـمـعى، يامـيرتل، إن كنت ترغـبين فى إعطاء النصـائح للفـتـى، فـهـا هو أمـامك، وسـأصـعـد أنا إلى أعلـى وأتركك وحدك معه.

السيدة ويب : *[وهى تجذب جورج ليقف]*

جورج، يجب أن تنزل إميلى لآن لتتناول إفطارها. إنها ترسل إليك حبها، ولكنها لا تريدك أن تراها الآن. مع السلامة، ياجورج.

جورج : مع السلامة.

[يعبر جورج المسرح متجهاً إلى منزله، فى حيرة وخيبة أمل. يتفادى بركة ماء على مهل ثُم يختفى داخل المنزل].

السيد ويب : ميرتل، يبدو لى أنك لا تعرفين تلك الخرافة القديمة الأخرى.

السيدة ويب : وما هى، ياتشارلز؟

السيد ويب : إنها خرافة إرتبطت بالإنسان منذ كان يسكن الكهوف، وهى أنه لا ينبغى على العريس أن يرى والد عروسه فى يوم الزفاف، أو فى يوم قريب منه. تذكرى ذلك جيداً.

[يغادران المسرح معاً].

مدير خشبة المسرح : شكراً جزيلاً لكما، ياسيد ويب ويا سيدة ويب. ـ الآن على أن أتدخل وأقطع الحوار مرة أخرى. فنحن جميعاً نود أن نعرف كيف كانت البداية، ـ بداية هذا الزواج، ذلك التخطيط لقضاء العمر معاً. إننى شديد الاهتمام بمعرفة بدايات مثل هذه الأمور العظيمة.

إنكم جميعاً تعرفون ما يحدث: عندما تكون فى الحادية والعشرين أو فى الثانية والعشرين فإنك تتخذ بعض

القرارات، ثم هوب .. فجأة تدرك أنك فى السبعين وإنك قضيت خمسين عاماً تعمل فى المحاماة، وإن تلك السيدة ذات الشعر الأبيض إلى جوارك قد تناولت معك الطعام أكثر من خمسين ألف مرة.

كيف تبدأ مثل هذه الأمور؟

سيريكم جورج وإميلى الآن الحديث الذى تبادلاه عندما أدركا لأول مرة .. أن .. أن كلاً منهما قد خلق للآخر، كما يقول المثل الشائع.

ولكن قبل ذلك أود أن تعودوا جميعاً بالذاكرة إلى أيام الصبا وشرخ الشباب، خاصة تلك الأيام التى استجابت فيها قلوبكم لأول مرة لنداء الحب، عندما كنتم كشخص حالم يسير فى نومه، ولا يرى من الشارع الذى يسير فيه شيئاً ولا يكاد يسمع شيئاً مما يقال له.

تخيلوا أن بكم الآن مس من هذا الجنون... هل أطمع فى أن تتذكروا هذا؟

الآن، سترونهما خارجين من المدرسة الثانوية فى تمام الثالثة ظهراً.

فى ذلك اليوم، انتُخب جورج رئيساً للطلاب المستجدين، ولما كان هذا هو شهر يونية، فإن ذلك كان يعنى أنه سيصبح رئيساً للطلاب القدامى فى العام القادم. أما إميلى فقد انتخُبت سكرتيرة وأمينة للصندوق.

ولست بحاجة لأن أذكركم بأهمية هذا كله.

[يصل بين ظهرى كرسيين بلوح خشب يأخذه من مائدة عائلة السيد جيبز. ثم يحضر مقعدين مرتفعين من جانبى المسرح ويضعهما خلف اللوح، بحيث يواجه من يجلس عليهما الجمهور. وتلك هى الطاولة فى حانوت السيد مورجن. تسمع أصوات شباب تأتى من يسار المسرح].

نعم، ها هم يدخلون من الشارع الرئيسى.

[تدخل إميلى من الشارع الرئيسى من اليسار، وكأنها تحمل مجموعة من كتبها المدرسية (المتخيلة)].

إميلى : لا أستطيع يالويز! على أن أعود للبيت الآن. إلى اللقاء. أوه، إرنستين! يا إرنستين هل انتظرك الليلة لنذاكر معاً مادة اللاتينى؟ أليس ذلك الجزء الخاص بشيشرون هو أصعب ما فيها!؟ إقنعى أمك بضرورة حضورك الليلة. إلى اللقاء. إلى اللقاء ياهيلين. إلى اللقاء يا فريد.

[يلحق بها جورج، الذى يحمل هو أيضاً كتبه].

جورج : إميلى، هل أحمل عنك كتبك إلى البيت؟

إميلى : *[ببرود]*

لماذا... أشكرك، فالمكان ليس بعيداً.

[تعطيه كتبها].

جورج : لحظة، من فضلك يا إميلى. فى حالة إن تأخرت قليلاً، يابوب، فابدأ أنت التمرين، ولا تنتظرنى. ثم قم بتدريب

هيرب على بعض التصويبات العالية. فإنه بحاجة لمزيد منها.

إمـــــيلـى : إلى اللقاء، ياليزى.

جـــــورج : إلى اللقاء، ياليزى. ـ إننى فى غاية السعادة لإنتخابك أنت أيضاً، يا إميلى.

إمـــــيلـى : شكراً لك.

[كان جورج وإميلى يقفان فى الشارع الرئيسى بجوار الحائط الخلفى للمسرح. وتقدما خطوات قليلة تجاه المتفرجين. فجأة يتوقف جورج ويتحدث].

جـــــورج : إميلى، لماذا أنت غاضبة منى؟

إمـــــيلـى : لست غاضبة؟

جـــــورج : انك تعاملينى بطريقة غريبة فى الفترة الأخيرة.

إمـــــيلـى : حسناً، طالما بدأت أنت ياجورج، فأسمح لى أن أكلمك بصراحة تامة. جورج ـ

[تلمح إحدى معلماتها وهى تمر من أمامها].

مع السلامة، يا آنسة كوركوران.

جـــــورج : إلى اللقاء، يا آنسة كوركوران. ما... ما هى الحكاية؟

إمـــــيلـى : *[تجد صعوبة فى الكلام، تخلو لهجتها من التوبيخ]* إن كل هذا التغيير الذى طرأ عليك فى السنة الأخيرة لا يعجبنى على الإطلاق. واعتذر لك إن كان هذا يؤذى مشاعرك، ولكننى أجدنى مضطرة لأن أصارحك بالحقيقة

كلها، وأخزى الشيطان.

جـــــــــورج : تغيير؟ ماذا تقصدين بذلك، يا إميلى؟

إمـــــــــيلى : كنت قبل السنة الماضية معجبة بك كثيراً، ياجورج، وكنت أراقبك وأنت تعالج أمور حياتك... فنحن كنا أصدقاء منذ فترة طويلة.... ولكنك فجأة تملكك هوس لعبة البيسبول، وأصبحت تقضى وقتك كله فيها.... ولم تعد تكلم أحداً، ولا حتى أسرتك... بل إنك فى الحقيقة، ياجورج، تملكك الغرور والتكبر، هذا رأى كل البنات فيك، ولكن دون أن يصارحنك به. وكنت كثيراً ما أتألم عندما أسمعهن يقلن ذلك من وراء ظهرك، ولكننى فى نفس الوقت كنت أجد نفسى مضطرة لأن أوافقهن الرأى إلى حد ما. وأنا آسفة إذا كان فى كلامى ما يجرح شعورك،... ولكننى لست آسفة إننى قلته.

جـــــــــورج : أنا... أنا سعيد يا إميلى أنك قلته. فأنا لم أكن أبداً واعياً بأن كل ذلك كان يحدث لى. ويخيل إلى أنه من الصعب أن يكبر المرء دون أن تتسلل بعض الأخطاء والنواقص إلى شخصيته.

[يتقدمان خطوة أو خطوتين للأمام فى صمت، ثم يتوقفان فى ألم وكرب].

إمـــــــــيلى : إنى أتوقع الكمال دائماً فى الرجل، وأتصور أنه عليه أن يكون كذلك،

جـــــــــــورج : كلا، يا إميلى، لا أظن أن بلوغ الكمال شئ ممكن.

إمــــــــيـلـى : حسناً، إن والدى رجل كامل، ووالدك فيما أعلم يتمتع بهذه الصفة أيضاً. لذا فلا يوجد على الإطلاق ما يبرر ألا تكون أنت أيضاً كذلك.

جـــــــــــورج : فى الحقيقة يا إميلى، أتصور أن العكس هو الصحيح. فالرجال ليسوا خيرون بالفطرة، بل الفتيات هم الأخيار،

إمــــــــيـلـى : يهمنى إذن أن تعرف الآن يا جورج إننى لست كاملة. حيث أنه يصعب على الفتاة أن تبلغ الكمال مثل الرجل، وذلك لأن أعصاب النساء أضعف كثيراً من أعصاب الرجال. ـ والآن يا جورج، أعتذر عن كل ما قلته عنك، ولست أدرى ما الذى جعلنى أفعل ذلك.

جـــــــــــورج : إميلى!

إمــــــــيـلـى : الآن أدرك أن هذه ليست هى الحقيقة بالمرة. بل إننى أشعر فجأة أنه ليس لهذا أى أهمية تذكر.

جـــــــــــورج : إميلى! أتحبين أن تشربى أيس كريم بالصودا، أو أى شىء آخر، قبل أن تعودى للبيت؟

إمــــــــيـلـى : نعم أحب ذلك. ـ شكراً لك.

[يتقدمان تجاه المتفرجين، ثم يستديران يميناً فجأة ويدخلان حانوت السيد مورجن. نظراً لمشاعرهما الجياشة القوية تُبقى إميلى رأسها منخفضة ويتحدث جورج مع بعض المارة].

جـــــــــورج : أهلاً ياستيو. ـ كيف حالك؟ ـ مساء الخير ياسيدة سلوكم.

[مدير خشبة المسرح، مرتدياً نظارات السيد مورجن ومتقمصاً شخصيته، يدخل فجأة من يمين المسرح، ويقف بين المتفرجين وطاولة المشروبات].

مدير خشبة المسرح : أهلاً جورج. أهلاً إميلى. ـ ماذا تطلبان؟ إميلى ويب، ما الذى جعلك تبكين؟

جـــــــــورج : *[متلمساً تفسيراً]*

لقد... لقد حدث ما أفزعها بشدة، ياسيد مورجن. فقد كادت عربة شحن متجر الأدوات المعدنية تدهمها. كل الناس يقولون أن توم هاكنز مجنون فى قيادته.

مدير خشبة المسرح : *[يملأ لها كوباً من الماء]*

إشربى إذن هذا الماء، يا إميلى. إنك فى غاية الاضطراب. عليك أن تنظرى يميناً ويساراً قبل أن تعبرى الشارع الرئيسى خاصة فى هذه الأيام. فالحال يسوء أكثر عاماً بعد عام ـ والآن ماذا تشربان؟

إمـــــــــيلى : أشرب مياه غازية بالفراولة. شكراً لك، ياسيد مورجن.

جـــــــــورج : لا، لا يا إميلى. إشربى أيس كريم بالصودا معى.

إعطنا كوبين من الأيس كريم بالصودا بالفراولة، ياسيد مورجن.

مدير خشبة المسرح : *[وهو يصب المشروبين]*

نعم، ياسيدى، كوبان الآيس كريم صودا بالفراولة. إن فى جروفرز كورنرز فى هذه اللحظة التى أتحدث إليكما فيها مئة وخمسة وعشرين حصاناً. ومفتش الولاية كان هنا بالأمس. وها هم قد بدءوا فى إحضار الآن الأوتو ـ مو ـ بيلات. لذلك فمن الأفضل أن يلزم الإنسان بيته. أين منا تلك الأيام التى كان الكلب ينام فيها طوال اليوم فى وسط الشارع الرئيسى دون إزعاج.

[يوحى لنا بوضع الأكواب أمامهما].

هاكما المشروبان. بالهناء والشفاء.

[يرى زبوناً، على اليمين].

نعم، ياسيدة إليس. ماذا أُحضِر لك؟

[يخرج من يمين المسرح].

إميلى : إن ثمن هذه المشروبات مرتفع جداً.

جورج : لا، لا يا إميلى. لا تفكرى فى ذلك. إننا نحتفل بانتخابنا. ثم أتعلمين بماذا أحتفل أيضاً؟

إميلى : لـ .. لا.

جورج : إننى أحتفل لأن لى صديقاً يصدقنى القول فيما ينبغى فعلاً أن أعرفه عن نفسى.

إميلى : من فضلك، ياجورج، لا تفكر فى ذلك. فأنا لا أدرى لماذا قلته. كما أنه ليس حقيقياً. فأنت ـ

جورج : لا، يا إميلى. تمسكى بما قلته. فأنا سعيد بصراحتك هذه.

وستثبت لك الأيام أننى سأتغير سريعاً. نعم تأكدى من أننى سأتغير. إميلى أود أن أطلب منك خدمة.

إميلى : ماذا؟

جورج : إن التحقت بكلية الزراعة بالولاية فى العام القادم، فهل ستكتبين لى خطاباً من وقت لآخر؟

إميلى : بالتأكيد، يا جورج. بالتأكيد سأفعل....

[فترة صمت ويبدأن فى شرب الصودا بالشفاطات].

بالتأكيد فإن غياب ثلاث سنوات سيباعد بينك وبين ما يحدث هنا. ومع الوقت قد تفقد الخطابات من جروفرز كورنرز أهميتها وقيمتها. فجروفرز كورنرز ليست بالبلدة الهامة أو المدينة الكبيرة، خاصة إذا ما قورنت بنيوهامبشير. غير إنى أراها بلدة جميلة.

جورج : لن يأتى ذلك اليوم الذى لن أكون فيه حريصاً على معرفة كل ما يدور هنا. هذه هى الحقيقة، يا إميلى.

إميلى : على أية حال سأحاول أن أجعل خطاباتى شيقة.

[فترة صمت].

جورج : أتعرفين يا إميلى. كلما أصادف مزارعاً اسأله هل من الضرورى حقاً أن أدرس فى كلية الزراعة لكى أصبح مزارعاً ناجحاً.

إميلى : ولكن، ياجورج ـ

جورج : نعم. وبعضهم يقول إن هذا ليس إلا مضيعة للوقت.

فبإمكان المرء أن يحصل على ما يريد من معلومات من المطبوعات الحكومية. كما أن عمى لوقا يتقدم به العمر، ـ وهو على استعداد لأن أتسلم منه مزرعته من الغد إذا استطعت ذلك.

إمـــيـلـى : ما هذا الذى تقوله، يا جورج؟

جـــورج : وكما كنت تقولين، فإن ذلك يعنى بعدى عن هذا المكان لمدة طويلة... ومقابلة أناس آخرين فى أماكن أخرى.... يا إلهى، لو كان هذا سيحدث لى، فأنا لا أود الرحيل. ومن قال أن الأصدقاء الجدد سيكونون أفضل من الأصدقاء القدامى! اراهن يا إميلى إنهم لن يكونوا كذلك. إميلى... إننى أشعر بأنك خير الأصدقاء بالنسبة لى، وإنى لست بحاجة لتكوين صداقات جديدة فى بلاد أخرى.

إمـــيـلـى : ولكن يا جورج، قد يكون من المفيد جداً بالنسبة لك أن ترحل وتتعلم كل ما يتعلق بأمور الزراعةمثل كيفية اختيار الماشية وأنواع التربة وما شابه ذلك.... على أية حال، أنت أدرى بهذا الموضوع

جـــورج : *[بعد لحظة صمت فى لهجة شديدة الجدية]*.
إميلى، سأتخذ قرارى الآن فوراً. أنا لن أذهب.. وسأخبر أبى بذلك الليلة.

إمـــيـلـى : لماذا، ياجورج؟ لا أفهم لماذا عليك أن تقرر الآن؟ فلا يزال أمامك سنة كاملة لتقرر ما تشاء.

جـــــــــــورج : إننى سعيد، يا إميلى، لأنك تحدثتى معى بكل صراحة.. عن هذا العيب فى شخصيتى. إن كل ما ذكرته صحيح، ولكنك أخطأت فى شىء واحد، وذلك حين قلت أننى لمدة عام لم أكن أهتم بأحد .. ولا حتى بك. تقولين إنك كنت تهتمين بكل شىء أفعله،.... أنا أيضاً كنت أفعل نفس الشىء معك طول الوقت. أجل، بكل تأكيد كنت أفكر فيك دائماً باعتبارك من أهم الناس الذين يشغلون تفكيرى كنت أحرص دائماً أن أعرف أين تجلسين ومع من، ومنذ ثلاثة أيام وأنا أحاول أن اصحبك إلى البيت ولكن شيئاً ما كان يقف حائلاً بيننا. وبالأمس وقفت بجوار الحائط انتظرك، ولكنك عدت إلى البيت فى صحبة مس كوركوران.

إمـــــــــــيلى : جورج!... إن الحياة حقاً غريبة! كيف كان لى أن أعرف كل هذا؟ لقد فكرت.

جـــــــــــورج : استمعى إلى، يا إميلى. سأقول لك لماذا عدلت عن الدراسة بكلية الزراعة. أعتقد أن الإنسان إذا قابل إنساناً آخر وأحس أنه أحبه وأصبح متيماً به... أقصد إنساناً يبادله حباً بحب... إنساناً يحبه بما يكفى لأن يجعله يهتم بشخصيه... أعتقد أن ذلك يعادل الكلية فى أهميته، بل يفوقها. هذا هو رأئى.

إمـــــــــــيلى : وأنا أيضاً أرى أنه شئ هام جداً.

جـــــــــــورج : إميلى.

إمـــــــــيـلـى : نـ ـ عم يا جورج.

جـــــــــــورج : إميلى، إن تحسنت وتغيرت شخصيتى كثيراً،.... فهل تكونين... أقصد: هل يمكن أن تكونى...

إمـــــــــيـلـى : أنا... أنا الآن... وكنت كذلك دائماً.

جـــــــــــورج : *[بعد لحظة صمت].*

إذن كان حديثنا هذا هاماً حقاً.

إمـــــــــيـلـى : نعم... نعم..

جـــــــــــورج : *[يأخذ نفساً عميقاً وينصب قامته]*

انتظرينى دقيقة وسأمشى معك للبيت.

[يتزايد إحساسه بالقلق وهو يفتش فى جيوبه عن النقود.

يدخل مدير خشبة المسرح من يمين المسرح.

جورج، وهو فى غاية الحرج، يقول له مباشرة].

ياسيد مورجن، إننى مضطر لأن أذهب إلى المنزل لأحضر لك ثمن ما شربناه. لن يستغرق ذلك أكثر من دقيقة.

مدير خشبة المسرح : *[متظاهراً بالإحساس بالإهانة]*

ما هذا الذى تقوله، ياجورج جيبز؟ اتقصد أن تقول لى إنك ـ !

جـــــــــــورج : تمام، ولكن هناك ما يبرر ذلك الوضع، ياسيد مورجن. ـ على كل، ها هى ساعتى الذهبية، احتفظ بها حتى أعود إليك.

مدير خشبة المسرح : لا داعى لذلك. احتفظ بساعتك، إننى أثق بك.

جـورج : سأعود بعد خمس دقائق.

مدير خشبة المسرح : بل أزيدك عشرة أعوام ثقة يا جورج. ـ لكن ليس أكثر. وأنت يا إميلى، هل أنت أحسن الآن؟

إمـيلى : نعم، ياسيد مورجن. شكراً لك. كان شيئاً لا يذكر.

جـورج : *[يحمل كتبه من فوق المنضدة]*

هيا بنا يا إميلى.

[يسيران فى صمت عميق عبر المسرح، ويمران عبر التكعيبة إلى الباب الخلفى لمنزل السيد ويب ويختفيان. يراقبهما مدير خشبة المسرح وهما يخرجان، ثم يتحدث إلى الجمهور وهو يخلع نظارته].

مدير خشبة المسرح : حسناً ، ـ

[يصفق بيديه كإشارة]

والآن أصبح كل شىء جاهزاً لنبدأ مراسم الاحتفال بالزفاف.

[بينما هو ينتظر يتم إعداد المكان لمشهد الاحتفال. ينقل عمال المسرح المقاعد، والموائد والتكعيبتين من منزلى السيد جيبز والسيد ويب. ويرتبون مقاعد الكنيسة فى وسط المسرح، حيث سيجلس الجمع المحتشد مواجها الحائط الخلفى. ويبدأ الممشى بين هذه الكراسى من وسط الحائط

الخلفى ثم يمتد فى اتجاه الجمهور.

كذلك تم وضع منصة صغيرة على الحائط الخلفى، حيث سيقف عليها مدير خشبة المسرح، ليقوم بدور القس. كما يتم إسقاط صورة بالفانوس السحرى لنافذة زجاجها متعدد الألوان على الحائط الخلفى.

وعندما يكون قد تم إعداد كل شىء يتمشى مدير خشبة المسرح إلى وسط المسرح، ثم إلى مقدمته، ويتحدث إلى الجمهور متأملاً ما يقول]

ما أكثر ما يقال عن حفلات الزواج، وما أكثر ما يصاحبها من أفكار. ولا يمكننا بالطبع أن نجمعها جميعاً فى حفل زواج واحد، لا سيما فى جروفرز كورنرز، حيث تكون حفلات الزواج دائماً بسيطة ومقيدة إلى درجة كبيرة.

فى هذا الزواج سأقوم بدور القس، مما يعطينى الحق فى أن استفيض قليلاً فى الحديث عنه.

منذ الآن ولفترة، ستتسم بالجدية الشديدة.

وكما تعلمون، فإن بعض الكنائس ترى فى الزواج رباطاً مقدساً. وأنا لا أدرى ماذا يعنون بذلك على وجه الدقة، ولكننى أستطيع أن أخمن. إننى اتفق مع السيدة جيبز حين قالت منذ قليل: لقد خُلق الناس ليعيشوا أزواجاً. إن هذا الزفاف جميل، لكن تكوين البشر يجعلهم حتى فى مثل هذا الزفاف الجميل يشعرون بالحيرة والاضطراب فى

أعـمـاق نفـوسـهـم. وقـد رأينا أن ذلك لابد وأن يحـدث فى مسرحيتنا أيضاً.

إن البطل الحقيقى لهذا المشهد لا يظهر على المسرح أبداً، وأنتم تعـرفـون من أعنى بذلك. فكمـا قـال أحـد هؤلاء الأوروبيون: إن كل طفل يأتى لهذا العالم إنما هو محاولة من الطبيعة لإيجاد الإنسان الكامل. حسناً. لقد شاهدنا الطبيعه تسعى وتتحايل لتحقق مقاصدها منذ فترة. إننا نعلم جميعاً أن الطبيعة تهتم بالكم، ولكنى أعتقد أنها تهتم بالكيف أيضاً وربما يفسر ذلك قيامى بدور القس فى هذا الزفاف.

ولا تنسوا أيضاً الشهود الآخرين لهذا العُرس ـ أولئك الأسلاف، الذين استقر رأى الملايين منهم على أن يعيشوا أزواجاً. نعم الملايين منهم قد فعلوا ذلك.

حسناً، هذه هى موعظتى لكم، وأرجو ألا أكون قد أطلت عليكم.

[يبدأ الأرغن عزف مقطوعة «لارجو» لهاندل.

ويتدفق الجمع المحتشد إلى الكنيسة، ويجلسون فى صمت. وتدق أجراس الكنيسة.

تجلس السيدة جيبز فى الصف الأمامى، فى أول مقعد من ناحية المشى، على اليمين. وإلى جوارها يجلس الدكتور جيبز وربيكا. وفى الناحية الأخرى تجلس السيدة

ويب، ووللى، والسيد ويب. وتحت النافذة الملونة تقف جوقة المنشدين ووجههم للجمهور.

وبينما تسير السيدة ويب إلى مقعدها، تستدير وتحدث الجمهور].

السيدة ويب : لست أدرى على الإطلاق ما الذى يجعلنى أبكى. فأنا لا أرى ما يبرر ذلك، لكنه غلبنى هذا الصباح أثناء الإفطار؛ كانت إميلى تتناول طعام إفطارها تماماً كما فعلت طوال سبعة عشر عاماً، ولكنها الآن سترحل وستأكله فى منزل شخص آخر. ربما يكون هذا سبب بكائى.

وكذلك إميلى! لقد قالت فجأة: لا أستطيع أن أضع فى فمى لقمة أخرى، ثم وضعت رأسها على المائدة وبكت.

[تهم بالسير فى اتجاه مقعدها، لكنها تستدير إلى الجمهور مرة أخرى وتضيف]

لا. لا بد أن أقولها: أتعلمون إنها لمنتهى القسوة منا أن نترك بناتنا يتزوجون على هذا النحو؟

أرجو أن تكون بعض صديقاتها قد تحدثن معها فى بعض أمور الزواج. إنها قسوة منى، أعرف ذلك، ولكن لم أستطع أن أحدثها فى ذلك على الإطلاق، فأنا أيضاً لم أكن أعرف شيئاً حين تزوجت تماماً مثل خفاش أعمى

[وقد تملكها غضب خفيف]

إن العالم كله مُختل. تلك هى الحقيقة. ها هم قادمون.

[تسرع إلى مكان جلوسها .

ويبدأ جورج السير فى الممشى على يمين المسرح، ويشق طريقه بين المتفرجين.

وفجأة يظهر ثلاثة من أعضاء فريق البيسبول عند العمود الأيمن لمقدمة المسرح، ويبدأون فى الصفير والصياح له. وهم يرتدون ملابس اللعبة].

لاعبوا البيسبول : إيه! جورج، جورج! يا جورج! انظروا إليه! إنه يكاد يموت من الخوف، هييه لا داعى لنظرة البراءة المرسومة هذه، أيها اللاعب المخضرم! فنحن نعرف ما يشغل تفكيرك الآن. نرجو أن تُبيضٍّ وجوه زملاء الفريق، أيها البطل هو و – وو – وو.

مدير خشبة المسرح : حسناً! حسناً! كفى! يكفينا هذا الآن.

[يدفع اللاعبين خارج المسرح وهو يبتسم. فيميلون للخلف مرة أخرى ليصيحوا ويهتفوا لجورج قبل أن يخرجوا].

كان هذا يحدث كثيراً فى حفلات الزواج فى الماضى. منذ الرومان، وبعد ذلك، أما الآن فنحن أكثر تحضراً، أو هكذا يقولون.

[تبدأ الجوقة فى إنشاد «الحب الإلهى يسمو فوق كل حب». فى ذلك الحين يكون جورج قد وصل إلى المسرح. يحملق لحظة فى جمع الحضور، ثم يرجع للوراء بضع خطوات فى اتجاه العمود الأيمن لمقدمة المسرح. ويبدو أن

أمه التى تجلس فى الصف الأمامى قد أحست بما فيه إبنها من إرتباك، فتترك مقعدها وتتجه مسرعة إليه].

السيدة جيبز : جورج! جورج! ماذا حدث، يابنى؟

جورج : أماه! لا أريد أن اتقدم فى العمر. لماذا يدفعنى الجميع هكذا؟

السيدة جيبز : عجبا يا جورج إن هذا ما أردت.

جورج : لا يا أمى. إستمعى إلى -

السيدة جيبز : لا، لا، ياجورج - لقد أصبحت رجلاً الآن.

جورج : اسمعينى، يا أمى. - إسمعينى لآخر مرة - كل ما أردته أن أكون رجلاً -

السيدة جيبز : جورج! ماذا سيكون الموقف لو أن أحداً سمعك تتكلم هكذا؟! إنى أخجل منك.

جورج : *[يسترد وعيه، وينظر إلى المشهد أمامه]*

ماذا؟ أين إميلى؟

السيدة جيبز : *[شاعرة بالارتياح]*

جورج! لقد أفزعتنى حقاً، ياجورج!

جورج : ابتهجى، يا أماه. فأنا أتزوج.

السيدة جيبز : دعنى التقط أنفاسى أولاً.

جورج : *[محاولاً طمأنتها أكثر]*

أماه، أحجزى أمسية كل خميس لنا. سنحضر فى مساء كل خميس إميلى وأنا لتناول طعام العشاء

معكم.... أعدك بذلك. أمي، لماذا البكاء؟ هيا بنا، علينا أن نستعد للمراسم.

[تنجح السيدة جيبز في السيطرة على مشاعرها مرة أخرى، ثم تقوم وتصلح رباط العنق لجورج وتهمس في إذنه.

في ذلك الوقت تكون إميلي قد اخترقت الجمهور في فستان زفافها الأبيض ونقابه، واعتلت المسرح. هي أيضاً تجفل وتتراجع عندما ترى كل هذا الجمع في الكنيسة.

تبدأ الجوقة إنشادها «تباركت الصلة التي تربطنا»].

إميلي : لم أشعر أبداً بالوحدة كما أشعر بها الآن. وها هو جورج هناك، يبدو في غاية.... أوه! إني أكرهه! ليتني مت قبل هذا! أبي! أبي!

السيد ويب : *[يترك مقعده ويتجه نحوها وهو قلق]*

إميلي! إميلي! لا داعي الآن للقلق....

إميلي : ولكنني لا أريد أن أتزوج، يا أبي...

السيد ويب : كفى يا إميلي. كل شئ على ما يرام. اطمئني.

إميلي : لماذا لا أظل كما أنا دون زواج لبعض الوقت؟ هيا بنا نبتعد عن هنا ـ

السيد ويب : لا، لا يا إميلي. كفى عن ذلك كله وفكري قليلاً.

إميلي : أتذكر يا أبي ما كنت تقوله لي دائماً ـ كنت دائماً تقول ـ دائماً ـ إنني فتاتك! لابد أن هناك أماكن كثيره

يمكننا أن نذهب إليها . سأعمل من أجلك. كما يمكنني أن أدير المنزل.

السيد ويب : كفى. يجب ألا تفكرى فى مثل هذه الأمور. إنك متوترة، هذا كل ما فى الأمر يا إميلى.

[يلتفت وينادى].

جورج! ياجورج! هل يمكنك أن تنضم إلينا دقيقة؟

[يقودها إلى حيث يقف جورج].

ما هذا؟ إنك ستتزوجين أفضل شاب فى العالم. إن جورج إنسان رائع.

إميلى : ولكن يا أبى ـ

[تعود السيدة جيبز إلى مقعدها بهدوء. ويحيط السيد ويب ابنته بإحدى ذراعيه، ويضع يده على كتف جورج].

السيد ويب : *جورج، إنى أمنحك إبنتى. أتظن أنك قادر على أن ترعاها؟*

جورج: *سيد ويب، أود ... أود أن أحاول. إميلى، سأفعل كل ما فى وسعى. إنى أحبك، يا إميلى. وأحتاج إليك.*

إميلى : *إن كنت تحبنى فعلاً، فساعدنى. فكل ما أحتاجه هو شخص يحبنى.*

جورج: *سأحبك، يا إميلى. سأحاول. يا إميلى.*

إمـــــيلى : وأنا أقصد أن تحبنى إلى الأبد اتسمعنى، يا جورج؟ دائماً وإلى الأبد.

[ويرتمى كل منهما بين أحضان الآخر.

*يسمع لحن مارش عسكرى من أوبرا لوهينجرن** لفاجنر.*

ومدير خشبة المسرح، فى دور القس، يعتلى المنصة].

السـيـد ويب : هيا بنا، إنهم ينتظروننا. وأؤكد لكما أن كل شىء سيكون على ما يرام. هيا بنا، أسرعوا.

[جورج يتركهما ويأخذ مكانه بجوار مدير خشبة المسرح/ القس.

وتتقدم إميلى إلى مذبح الكنيسة معتمدة على ذراع أبيها].

مدير خشبة المسرح : هل تقبل، يا جورج، هذه المرأة، إميلى، زوجة لك، وتكون ...

[كانت السيدة سومز تجلس فى الصف الأخير بين الجمع فى الكنيسة.

وهى الآن تلتفت إلى جارتها وتتحدث بصوت حاد مرتفع، فتغطى ثرثرتها تماماً على كلمات القس].

السـيـدة سـومـز : ياله من عُرس رائع! إنه أجمل زفاف حضرته فى حياتى.

---

* لوهينجرن Lohengrin هى أوبرا رومانسية استوحاها فاجنر من أسطورة ألمانية تحكى عن فارس الكأس المقدّسة إبن بارسيفال (المترجم).

آه، كم أحب حفلات الزفاف الجميلة! ألا تحبينها أنت أيضاً؟ أليست العروس جميلة؟

جـــــورج : نعم أقبل.

مدير خشبة المسرح : هل تقبلين، يا إميلى هذا الرجل، جورج، زوجاً لك؟

[مرة أخرى تغطى ثرثرة السيدة سومز على كلام القس].

السـيدة سـومـز : لا أذكر متى رأيت زفافاً بهذا الجمال. ولكننى دائماً أبكى فى هذه المناسبات. ولا أدرى سبباً لذلك. ولكننى أبكى دائماً. كم يسعدنى أن أرى الشباب سعيداً. ألا يسعدك ذلك أيضاً؟ أوه، ما أروع هذا الحفل!

[الخاتم.

القبلة.

يتجمد *المشهد فى تابلوه صامت.*

[ينظر مدير خشبة المسرح أمامه فى الفضاء ويقول وكأنه يحدث نفسه*].*

مدير خشبة المسرح : لقد قمت بعقد القران أكثر من مائتى مرة فى حياتى.

هل أؤمن بالزواج؟

لست أدرى.

فُلان يتزوج من فُلانه... ملايين من الناس.

عش الزوجية الصغير، ثم عربة الطفل، الخروج للنزهة كل يوم أحد فى السيارة الفورد، الهجوم الأول لآلام الروماتيزم، ثم الأحفاد، ثم عودة الروماتيزم، وأخيراً فراش

الموت، وقراءة الوصية ـ

[الآن ينظر إلى الجمهور لأول مرة منذ بدأ حديثة، ويغلف حديثه التالى للجمهور بابتسامه حانية دافئة تنزع عنه أى شبهة تهكم أو سخرية].

يحدث مرة فى الألف أن يكون الزواج ممتعاً. والآن، لنستمع إلى مارش الزفاف لمنديلسون!

[يعزف اللحن على الأورغن.

ينزل العريس والعروس من المذبح منتشيين، لكنهما يحاولان تصنع الوقار].

السيدة سومز : أليسا رائعين؟ ما أروعهما معاً! أوه، إننى لم أشهد عُرساً أجمل من هذا. إننى واثقة أنهما سيكونان سعيدين. إننى أردد دائماً أن السعادة هى أهم شئ. فلا شىء يعادل السعادة. ولا شىء أهم من أن يكون الإنسان سعيداً.

[يصل العريس والعروس إلى الدرج المؤدى إلى أماكن جلوس المتفرجين، فيلقى عليهما ضوء ساطع. ويهبطان إلى الصالة (وسط الجمهور) ثم ينطلقان عبر الممر بين المقاعد فى فرح غامر].

مدير خشبة المسرح : وبهذا نأتى إلى ختام الفصل الثانى، أيها الحضور الكريم. وأمامكم عشر دقائق للإستراحة.

الفصل الثالث

أثناء الاستراحة يشاهد المتفرجون عمال المسرح يعيدون ترتيب خشبة المسرح. فعلى اليمين، وإلى اليمين قليلاً من وسط المسرح، وضعوا عشرة أو أثنى عشر كرسيا عاديا فى صفوف ثلاثة متباعدة قليلاً ومواجهة للمتفرجين.

وتلك الكراسى هى قبور فى الجبّانة.

يدخل الممثلون ويجلسون فى أماكنهم عند إنتهاء الاستراحة. فى الصف الأول فى منتصف المسرح تقريباً كرسى فارغ، ثم السيدة جيبز؛ وبعدها سايمون ستيمسون.

فى الصف الثانى السيدة سومز وآخرون.

فى الصف الثالث وولى ويب.

الموتى لا يلتفتون يميناً أو شمالاً وإنما يجلسون فى هدوء تام ولكن دون تصلب. وعندما يتحدثون، يفعلون ذلك بلهجة تقريرية، دون مبالغات عاطفيه، ودون كآبة أوحزن.

يقف مدير خشبة المسرح فى مكانه المعتاد وينتظر خفوت الإضاءة فى المسرح.

مديــر خشبة المســرح :

مـرت تسـع سنوات منذ الفـصل السـابق، أيهـا الأصـدقـاء ـ فنحن الآن فـى صـيف عـام ١٩١٣ . وقد شـهدت البلدة بعض التغيرات التدريجية. فلقد أصـبحت الخيول شيئاً نادراً وأصبح المزارعون يحضرون إليها الآن فى سيارات فورد.

وأصبح الجميع يغلقون أبواب منازلهم ليلاً. صحيح أنه لا وجود للصوص المنازل حتى هذه اللحظة، ولكن الجميع قد سمعوا عنهم.

ورغم ذلك، وقد يثير هذا دهشتكم، فالأحوال هنا بصورة عامة لم تتغير تغيراً ملحوظاً.

إن هذا المكان هو دون شك جزء هام من جروفرز كورنرز. إنه يقع على قـمـة تل، حـيث الرياح والسحب كثيرة والسماء تحيط به من كل جانب، لذا فالشمس عادة تغمره نهاراً والقمر والنجوم تنيره ليلاً.

وإن صعدتم إلى تلك القمة فى عصر يوم صحو، لرأيتم سلاسل ممتدة من التلال، لونها أزرق عـميق، هنالك بجوار بحـيرة سـونابى وبحـيرة وينيبـاسـوكى... وبالمنظار المقرب يمكنكم رؤية الجـبـال البـيـضـاء وجبل واشنطون، حـيث تقـبـع مـدينتـا كـونواى وكـونواى الشـمالية. أما جبلنا المفضل، الذى هو بالطبع جبل مونادنوك، فهو هنا، مع كل البلدان التى ترقد حول سفحه ـ چافرى، وچافرى الشرقية، وبيتربورو، ودبلن

[ثم يشير إلى أسفل عند الجمهور]

وهناك، على مسافة بعيدة أسفل، تقع جروفرز كورنرز.

حقـاً إنهـا لبقـعـة جميلة فـى هـذا المكان المـرتفع. بقعـة تنمـو فيهـا بكثـرة أشـجـار الغـار والـزنـابـق. وكـثـيـراً مـا أتسـاءل لمـاذا يحـب الـنـاس أن يـدفـنوا فـى وودلـون وبروكـلـين، بينمـا يسـتطيـعـون أن يمضـوا نفـس الزمـن المقـدر لهـم فى هـذا المكان الرائـع بنيوهامبشير! وهناك ـ

[مشيراً إلى يسار المسرح]

توجد القبور القديمة من ١٦٧٠ إلى ١٦٨٠. إنها قبور أولئك البشر ذوى العزيمة القوية الذين جاءوا من أماكن بعيدة بحثاً عن الاستقلال. وفى الصيف يأتى الناس إلى هنا ويضحكون من غرابة ما كتب على شواهد هذه القبور ... ولكن لا ضرر فى ذلك. ويستأجر أهل المدينة علماء الأنساب من بوسطن كى يساعدوهم فى التعرف على أسلافهم. فهم يريدون التأكد أنهم من أرحام الثورة الأمريكية وسفينة المهاجرين الأوائل.... ولا ضرر فى ذلك أيضاً. فكلما اقتربتم من الجنس البشرى ستجدون طبقات وطبقات من الثقافات والحماقات.

وهناك توجد قبور بعض المحاربين القدامى فى الحرب الأهلية، تظللها أعلام حديدية ... وهم من أبناء نيوهامبشير ... تملكتهم فكرة الحفاظ على وحدة الولايات جميعها رغم أنهم لم يروا من هذه الولايات أكثر من خمسين ميلاً فى حياتهم. كل ماكانوا يعرفونه يا أصدقاء هو الأسم ـ الولايات المتحدة الأمريكية. فالولايات المتحدة الأمريكية هو الأسم الذى ذهبوا من أجله وماتوا فى سبيله.

أما هنا فيوجد الجزء الحديث من الجبّانة وهو يضم قبر صديقتكم السيدة جيبز. ثم قبر من هذا؟ آه ـ إنه السيد ستيمسون، عازف الأرغن فى الكنيسة الأبرشية. وهاهى السيدة سومز التى استمتعت كثيراً بحفل الزفاف ـ أتتذكرونها؟ أوه، وكثيرون غيرهم. وهنا أيضاً وولاس، إبن المحرر ويب، لقد انفجرت زائدته وهو فى رحلة مع جماعة الكشافة إلى كروفورد نوتش.

نعم، أحزان هائلة سكنت فى هذا المكان، كم من بشر صعدوا إلى هنا بأقربائهم وذويهم وقد أطار الحزن صوابهم. إننا جميعاً نعرف تلك المواقف.. ثم يدور الزمن دورته ... وبعد الأيام المشمسة، يأتى المطر، ثم الجليد ..وما يسعدنا جميعاً هو

أنهم استقروا فى هذا المكان الجميل، الذى سنلحق بهم فيه حين يحين الأجل.
هناك أمور نعرفها جميعاً ولكننا نادراً ما نتوقف أمامها لنتأملها. فجميعنا يعرف أن هناك شيئاً أبدياً خالداً، ولكن هذا الشىء ليس بيوتاً أو أسماءً. كما إنه ليس الأرض، ولا حتى النجوم ... كلنا نعرف فى قرارة أنفسنا أن هنالك شيئاً أبدياً سرمدياً، وإن هذا الشىء له علاقة بالإنسان. لقد ظل أفضل العظماء وطوال خمسة آلاف سنة يكررون على مسامعنا هذا القول، ولكن ما يدعو للدهشة حقاً هو أن الناس دائماً ما ينسون أويتناسون ذلك. ففى أعمق أعماق كل إنسان منا تجد ذلك الشىء السرمدى الخالد.
[فترة صمت].
وإنكم لتعرفون كما أعرف أنا تماماً أن اهتمام الموتى بنا نحن الأحياء لا يدوم طويلاً. فتدريجيا، بمرور الوقت، تنقطع صلتهم بالحياة فوق الأرض... بما كان لهم فيها من طموحات .. ومسرات .. وأحزان عانوها.. وكل من أحبوهم.
يمكن القول بأنهم يفطمون عن تعلقهم بالأرض ـ أجل .. يفطمون .. هكذا أرى الأمر.
فهم يرقدون هنا فى قبورهم، بينما يتآكل تدريجياً جزءهم الأرضى، حتى يتلاشى تماماً، واثناء ذلك يتناقص اهتمامهم بما يجرى فى جروفرز كورنرز شيئاً فشيئاً حتى ينعدم .
إنهم ينتظرون.... ينتظرون شيئاً يشعرون أنه سيحدث، شىء هام، وعظيم.
أليسوا فى انتظار ظهور ذلك الجزء السرمدى الخالد بداخلهم؟
إن بعض الأشياء التى سيقولونها قد تجرح مشاعركم ـ ولكن لا مفر من ذلك:
علاقة الأم بإبنتها ... والزوج بزوجته ... والعدّو بعدوّه ... الأموال بالبخيل ... كل

هذه الأمور الدنيوية البالغة الأهمية تصبح باهتة فى هذا المكان. فما الذى يبقى بعد أن تتلاشى الذاكرة، والهوية، يا سيدة سميث؟

[ينظر إلى المتفرجين دقيقة، ثم يلتفت إلى خشبة المسرح].

وعلى كل فها هم بعض الأحياء. فهذا هو چو ستودارد، حانوتى بلدتنا، يشرف على تجهيز قبر جديد. وهنا يأتى شاب من جروفرز كورنرز، كان قد خلفها وراءه وهاجر غرباً.

[أثناء حديث الراوى، كان چو ستودارد يحوم حول المكان فى الخلف. يدخل سام كريج من اليسار، وهو يمسح العرق فوق جبهته من الاجهاد. وهو يحمل مظلة ويمشى الهوينة إلى الأمام].

سام كريج : مساء الخير، ياچو ستودارد.

چو ستودارد : أهلاً، طاب يومك. دعنى اتذكر: هل أعرفك؟

سام كريج : أنا سام كريج.

چو ستودارد : يا إله السماوات! سام كريج بشحمه ولحمه! لا أصدق! كان يجب أن أعرف أنك - ستعود للمشاركة فى الجنازة. لقد طال غيابك عنا كثيراً، ياسام.

سام كريج : نعم، لقد غبت ما يزيد على إثنى عشر عاماً. إنى لى أعمالى الآن فى بافالو، ياچو. ولكننى كنت فى الشرق عندما علمت بوفاة إبنة خالتى، لذا فكرت أنه بإمكانى الجمع بين بعض الأمور، الحضور لزيارة الموطن القديم. تبدو بصحة جيدة.

چو ستودارد : نعم، نعم، الحمد لله. حزينة جداً هى رحلتنا اليوم،

ياصمويل.

سام كريج : أجل.

چوستودارد : نعم، نعم. إنى أقول دائماً إننى اكره القيام بهذا العمل حينما يكون المتوفى سنه صغير. إن هى إلا دقائق قليلة ويصلون إلى هنا. كان على أن أحضر هنا مبكراً اليوم، وتركت إبنى يباشر الأمور هناك فى المنزل.

سام كريج : *[يقرأ شواهد القبور]*

هنا يرقد مكارتى المزارع العجوز ـ اعتدت أن أقضى له بعض المهام بعد خروجى من المدرسة. كان يعانى من اللومباجو.

چوستودارد : نعم، نعم حملنا مكارتى المزارع إلى هنا منذ بضع سنوات مضت.

سام كريج : *[يحملق فى ركبتى السيدة جيبز]*

وهذه !! إنها خالتى چوليا .... لقد نسيت أنها ... نعم ... طبعاً، طبعاً.

چوستودارد : نعم، لقد فقد الدكتور جيبز زوجته منذ عامين أو ثلاثة ... فى مثل هذا الوقت تقريباً. وها هو يتلقى ضربة أخرى شديدة القسوة اليوم، أيضاً.

السيدة جيبز: *[متحدثة إلى سايمون ستيمسون فى صوت يخلو من الانفعال]*

هذا هو سام ابن اختى كارى ... سام كريج.

سايمون ستيمسون : أشعر دائماً بالضيق حين يأتون.

السيدة جيبز : سايمون.

سام كريج : أهم الذين يختارون تلك الأشعار، ياچو؟

چوستودارد : لا .... لا يفعلون ذلك عادة. ففى الغالب يختارها أهل الفقيد أنفسهم.

سام كريج : لا اعتقد أن هذا ينطبق على خالتى چوليا، فهى ما كانت تتركهم ليفعلوا ذلك نيابة عنها. لم يتبق على قيد الحياة الكثيرات من الأخوات من عائلة هيرسى. والآن .. أين ... كنت أريد أن أرى قبر أمى وقبر أبى ...

چوستودارد : ها هما هناك مع قبور عائلة كريج ... فى الطريق (ف).

سام كريج : *[يقرأ الكتابة على قبر سايمون ستيمسون]*

كان عازف الأرغن فى الكنيسة، أليس كذلك؟ ــ كان يشرب كثيراً، كنا جميعا نعرف ذلك.

چوستودارد : ولكننا كنا جميعاً نتظاهر بأننا لا نعرف شيئاً عن ذلك. لقد لقى متاعب جمة.

[بصوت منخفض من خلف كفه]

أتعرف أنه انتحر؟

سام كريج : أوه، أفعل ذلك حقاً؟

چوستودارد : شنق نفسه فى غرفه السطح. حاولوا أن يتكتموا الخبر، إلا أنه انتشر بالطبع. كان قد اختار بنفسه الكتابة

المنقوشة على قبره. يمكنك أن تراها هناك على ضريحه. إنها ليست شعراً بالضبط.

سام كريج : ما هذا؟ إن هى إلا بعض النغمات الموسيقية ـ ما هى تلك النغمات؟

چوستودارد : أوه، كيف لى أن أعرف؟ لقد نشر ذلك فى صحف بوسطن فى حينه.

سام كريج : ما سبب موتها، يا چو؟

چوستودارد : موت من؟

سام كريج : إبنة خالتى.

چوستودارد : أوه، ألم تكن تعرف؟ حدث ذلك وهى تضع مولودها الثانى. طفلها الأول عمره الآن حوالى أربع سنوات.

سام كريج : *[يفتح مظلته]*

وهل سيكون قبرها هناك؟

چوستودارد : نعم، فلم يعد لها مكان هنا بين قبور عائلة جيبز. ولذلك قرروا أن يفتحوا قسماً جديداً لعائلة جيبز فى الطريق «ب». معذرة سأتركك الآن أراهم قادمين.

[فى مؤخرة المسرح يأتى الموكب من اليسار إلى الوسط، أربعة رجال يحملون نعشاً لا نراه. الآخرون يحملون مظلاتهم مفتوحة. بإمكاننا أن نرى بينهم الدكتور جيبز، وجورج، وعائلة السيد ويب وغيرهم، ولكن دون وضوح. ثم يتجمعون حول قبر فى منتصف مؤخرة المسرح، ناحية

اليسار قليلاً.]

السيدة سومز : من المتوفاة يا چوليا؟

السيدة جيبز : *[دون أن ترفع عينيها]*

زوجة إبنى، إميلى ويب.

السيدة سومز : *[بقليل من الدهشة، ولكن دونما انفعال].*

شئ غريب! لا بد أن الطريق إلى هنا كان موحلاً للغاية.

كيف ماتت يا چوليا؟

السيدة جيبز : أثناء الولادة.

السيدة سومز : الولادة.

[تقولها وهى تكاد تضحك].

لقد نسيت كل ذلك. يا سلام! ألم تكن الحياة مزعجة ـ

[وهى تتنهد]

ورائعة؟!

سايمون ستيمسون : [بنظرة جانبية]

رائعة ـ أكانت حقا كذلك؟

السيدة جيبز : سايمون! لا داعى لهذا. تذكّر!

السيدة سومز : إنى أذكر يوم زواج إميلى. ألم يكن زفافاً رائعاً! وأذكر إيضاً إميلى وهى تقرأ قصيدة شعرية بأسم دفعتها فى حفل تخرجها. إن إميلى كانت من أذكى البنات اللاتى تخرجن من المدرسة الثانوية. لقد سمعت السيد ويلكنز مدير المدرسة يقول هذا مراراً وتكراراً. لقد قمت بزيارتهما

هى وجورج فى مزرعتهما الجديدة قبل وفاتى مباشرة.
كانت مزرعة بالغة الجمال.

إمـــراة من الموتى : إنها تقع على نفس الطريق الذى كنا نسكن فيه.

رجل من الموتى : نعم، إنها مزرعة بالغة الأناقة.

[يلزمون الصمت. يبدأ الأحياء حول القبر فى إنشاد «فالتبارك الصلة التى تربطنا»].

إمـــراة من الموتى : كنت دائماً أحب هذه الترنيمة. تمنيت أن ينشدوا ترنيمة.

[فترة صمت. تظهر إميلى فجأة من بين المظلات. ترتدى ثوباً أبيض. شعرها ينسدل خلف ظهرها وقد ربط بشريط أبيض مثل فتاة صغيرة. تخطو على مهل، وهى تنظر بدهشة وعجب إلى الموتى وقد أصابها الانبهار بعض الشئ. تتوقف فى منتصف الطريق وتبتسم ابتسامة خفيفة. تنظر إلى المشيعين من الأحياء للحظة، ثم تواصل سيرها الهادى البطئ نحو الكرسى الشاغر بجوار السيدة جيبز وتجلس عليه].

إميـــــلى : *[محدثة الجميع بهدوء وإبتسامة]*
هالو.

السيدة سومز : أهلاً يا إميلى.

رجل من الموتى : أهلاً، سيدة جيبز.

إميـــــلى : *[فى نبرة دافئة]*
أهلاً يا حماتى..

السيدة جيبز : إميلى.

إميلى : أهلاً

[مندهشة].

إن المطر لا يزال يتساقط!

[ترنو إميلى إلى الجنازة فى الخلف]

السيدة جيبز : نعم .... سيرحلون بعد قليل، يا عزيزتى. إستريحى أنت.

إميلى : يبدو أن آلافا وآلافا من السنين قد مضت منذ أن ... تذكر أبى أن هذه كانت ترنيمتى المفضلة.

أه، كم كنت اتمنى لو أننى كنت هنا منذ زمن بعيد. لا أحب أن أكون حديثة العهد بهذا المكان. ـ تحياتى يا سيد ستيمسون؟

السيد ستيمسون : تحياتى يا إميلى؟

[تظل إميلى تنظر فيما حولها بابتسامة حائرة متسائلة. ثم توجه حديثها إلى السيدة جيبز وكأنها بذلك تريد أن تصرف اهتمامها عن جماعة المشيعين، فيعكس صوتها بعض التوتر].

إميلى : حماتى، لقد جعلنا أنا وجورج تلك المزرعة مكان أجمل من أى مكان رأيتيه فى حياتك. كنا نفكر فيك طول الوقت. كنا نود أن نريك الجرن الجديد وذلك الحوض الكبير المصنوع من الأسمنت لتشرب منه الماشية. لقد اشترينا هذا بالمال الذى تركتيه لنا.

السيدة جيبز : أحقاً فعلت ذلك؟

إميلي : ألا تذكرين ذلك، يا حماتى؟ ما تركتيه لنا من ميراث؟ لقد كان أكثر من ثلاثمائة وخمسين دولاراً.

السيدة جيبز : أجل، أجل يا إميلى.

إميلي : وبهذا الحوض يا حماتى جهاز من ماركة مسجلة يتحكم فى المياه بحيث لا تزيد ولا تقل عن حد معين. شئ بديع.

[يخفت صوتها تدريجياً ويرتد نظرها إلى جماعة المشيعين].

لن تكون المزرعة بالنسبة لجورج كما كانت قبل رحيلى، ولكنها على أية حال مزرعة رائعة.

[فجأة تنظر مباشرة إلى السيدة جيبز].

إن الأحياء لا يفهمون، أليس كذلك؟

السيدة جيبز : لا، يا عزيزتى. إنهم لا يفهمون كثيراً.

إميلي : وكأن كل واحد منهم مسجون فى صندوقه الصغير، أليس كذلك؟ أشعر وكأن أخر مرة كنت معهم فيها كانت منذ ألف عام... إن إبنى سيقضى اليوم فى منزل السيدة كارتر.

[ترى السيد كارتر بين الموتى].

أوه، سيد كارتر، إن صغيرى يمضى يومه فى منزلك الآن.

السيد كارتر : حقاً؟

إميلي : نعم، إنه يحب الذهاب هناك. ـ ولدينا أيضاً يا حماتى

سيارة فورد، وهى بحالة جيدة. ولكننى لم أتعلم القيادة بعد. أمى جيبز، متى يذهب عنى هذا الشعور؟ الشعور بأننى لازلت مع الأحياء. كم من الوقت يمر ...؟

السيدة جيبز : إهدئى، يا عزيزتى. انتظرى وتسلحى بالصبر.

إميلى : *[متنهدة]*

أجل. ـ انظرى، لقد فرغوا مما يفعلون. وها هم ينصرفون الآن .

السيدة جيبز : الزمى الهدوء.

[تغادر المظلات المسرح. يتقدم الدكتور جيبز إلى قبر زوجته، ويقف أمامه لحظة. ترفع إميلى عينيها إلى وجهه، ولكن السيدة جيبز لا تفعل ذلك].

إميلى : انظرى ! إن أبى جيبز قد أحضر إليك بعض أزهارى. إنه يشبه جورج تماماً أليس كذلك؟ أوه، يا أمى جيبز، لم أدرك قط من قبل حجم معاناة الأحياء وجهلهم. انظرى إليه. كم كنت أحبه. لا شىء فى حياتهم منذ طلوع الشمس وحتى غروبها سوى القلق والمعاناة.

[يغادر السيد جيبز المسرح]

الموتى : أصبح الجو أكثر برودة ـ نعم لقد بردته الأمطار قليلاً. ودائماً تحدث الرياح الشمالية الشرقية نفس التأثير، أليس كذلك؟ فإن لم تمطر تهب تلك الرياح طوال ثلاثة أيام متتالية ـ

[يسود المسرح هدوء ينم عن الصبر. يظهر مدير خشبة المسرح وهو يدخن عند العمود الأمامي للمسرح. تعتدل إميلى فجأة فى جلستها وقد خطرت لها فكرة]

إمـــــيلـى : ولكن يا أمي جيبز، يمكن لنا أن نعود مرة أخرى، إننى اشعر بهذا. إننى أعرف هذا. فمنذ لحظة فقط كنت أفكر في... فى المزرعة ... ولمدة دقيقة كنت فعلاً هناك، وكان صغيرى يجلس فى حجرى وكان شيئاً حقيقياً كالشمس فى وضح النهار.

السـيدة جيـبـز : نعم يمكنك ذلك بكل تأكيد.

إمـــــيلـى : بوسعى أن أعود إلى هناك، وأحيا كل تلك الأيام مرة أخرى ... ولم لا؟

السـيدة جيـبـز : كل ما أستطيع قوله يا إميلى هو: لا تفعلى ذلك.

إمـــــيلـى : *[متوسلة وبإلحاح لمدير خشبة المسرح]*

ولكن هذا شيء حقيقي، أليس كذلك؟ استطيع أن أعود للعيش... هناك ... مرة أخرى.

مدير خشبة المسرح : نعم، فالبعض قد حاول ذلك من قبل ـ ولكنهم سرعان ما يعودون إلى هنا.

السـيدة جيـبـز : لا تفعلى هذا يا إميلى.

السـيدة سـومـز : لا تفعلى هذا، يا إميلى. إنها ليست كما تتخيلين.

إمـــــيلـى : ولكننى لن اعيش يوماً حزيناً. بل سأختار يوماً سعيداً ـ سأختار اليوم الذى عرفت فيه لأول مرة اننى أحببت

جورج. ما الذى يجعل يوماً كهذا مؤلماً؟

[يلزم جميع الموتى الصمت. ويرتد السؤال إلى مدير خشبة المسرح].

مدير خشبة المسرح : إنك لن تعيشى ذلك اليوم فحسب، ولكنك ستراقبين نفسك وأنت تعيشينه.

إميلى : ثم ماذا؟

مدير خشبة المسرح : وبينما تفعلين ذلك ستعرفين أشياء لا يستطيع معرفتها أولئك الذين يعيشون هناك بأى حال من الأحوال. سترين المستقبل. وستعرفين ما الذى سيحدث فيما بعد.

إميلى : ولكن هل هذا ـ مؤلم؟ ولماذا؟

السيدة جيبز : ليس هذا هو السبب الوحيد الذى من أجله ينبغى ألا تفعلى هذا، يا إميلى. فمع مرور الوقت ستدركين أن حياتنا هنا تعنى أن ننسى كل شئ عن حياتنا الدنيوية، وأن ننشغل فقط بما سيأتى، ونستعد له. ستفهمين كل ذلك مع مرور الوقت.

إميلى : *[بصوت منخفض]*

ولكن كيف يتسنى لى أن أنسى تلك الحياة، يا أمى جيبز؟ إنها هى كل ما أعرف. إنها هى كل ما كان لى.

السيدة سومز : أوه، يا إميلى. ليس من الحكمة أن تفعلى هذا. ليس من الحكمة حقاً.

إميلى : ولكنه أمر يجب أن أعرفه بنفسى. وسأختار يوماً سعيداً

على أية حال.

السيدة جيبز : لا ! ـ إن كان ولا بد، فاختارى يوماً عادياً. اختارى أقل أيام حياتك أهمية. وستجدين فيه من الأهمية ما يكفى.

إميلى : *[تحدث نفسها]*

لن يكون إذن أحد أيام زواجي؛ أو منذ ميلاد إبنى.

[تتحدث لمدير خشبة السرح بلهفة]

سأختار إذن يوما من أيام أعياد ميلادى على الأقل، أيمكنني ذلك؟ ـ سأختار عيد ميلادى الثانى عشر.

مدير خشبة المسرح : حسناً، يوافق ذلك ١١ فبراير ١٨٩٩، وهو يوم ثلاثاء. ـ أترغبين فى وقت محدد من هذا اليوم.

إميلى : أوه، اريد اليوم كله.

مدير خشبة المسرح : سنبدأ مع الخيوط الأولى لفجر ذلك اليوم. وكما تذكرين ظل الثلج يتساقط أياماً عديدة، ولكنه كان قد توقف فى الليلة السابقة، وكانوا قد شرعوا فى تنظيف الطرق. ها هى الشمس تشرق من بعيد.

إميلى : *[تصيح وهى تنهض]*

ها هو الشارع الرئيسى !.... وهنالك حانوت السيد مورجن قبل أن يغيره ! ... وهذا هو إسطبل الجياد.

[لقد ظل المسرح طوال هذا الفصل مضيئاً، ولكن الآن يبدأ ضوء قوى جداً يغمر النصف الأيسر من المسرح تدريجياً ـ إنه ضوء صباح شتوى قارس.

تتجه إميلى إلى الشارع الرئيسى].

مدير خشبة المسرح : نعم، إنه عام ١٨٩٩ . منذ أربعة عشر عاماً .

إمـــــيلـى : أوه، هذه هى البلدة كما عرفتها وأنا طفلة صغيرة. انظروا! ها هو السور الأبيض القديم الذى كان يحيط بمنزلنا . أوه، كنت قد نسيته! أو، كم أحببه ! هل هم بالداخل؟

مدير خشبة المسرح : نعم ستنزل أمك حالاً لتعد طعام الإفطار.

إمـــــيلـى : *[بصوت خفيض]*

أحقاً ستفعل؟

مدير خشبة المسرح : وتذكرين أن والدك كان غائباً منذ عدة أيام؛ وعاد فى قطار الصباح الباكر.

إمـــــيلـى : حقاً ...؟

مدير خشبة المسرح : كان فى زيادة إلى كليته فى غرب نيويورك فى كلينتون ليلقى خطبة.

إمـــــيلـى : انظر! ها هو هاوى نوسم. وهذا شرطى البلدة. لكنه مات. لقد مات.

[تسمع أصوات هاوى نوسم والشرطى وارين وجو كرويل الابن من يسار المسرح. تستمع إميلى فى سعادة].

هـــاوى نـــوســم : هيا يا بيسى ! ـ بيسى! صباح الخير، يا بيل.

الشـــــرطى وارين : صباح الخير يا هاوى.

هـــاوى نـــوســم : بكرت اليوم.

الشـــــرطـى وارين : كنت أحاول إنقاذ شخص كاد أن يتجمد حتى الموت بجوار بلدة البـولنديين. أفـرط فى الشـراب حـتى ثمل ثم نـام فى العـراء تحت الثلوج المتـسـاقطة. ظن أنه ينام فى سـريره عندما نبهته.

إمـــــــــيـلـى : ومن هذا؟ إنه چو كرويل ...

چـوكــــــــرويـل : صباح الخير يا سيد وارين. صباح الخير يا هاوى.

[السيدة ويب فى مطبخها الآن، ولكن إميلى لا تراها حتى تناديها].

الســـيــــــدة ويب : يا أولاد ! وولى ! إميلى!.... حان وقت إستيقاظكما .

إمـــــــــيـلـى : أنا هـنا يا أمـى ! أوه، كم تبدو أمى صغيرة السن! لم أكن اعرف أن أمـى كانـت يومـاً مـا فـى مثـل هـذا الشبـاب.

الســـيــــــدة ويب : يمكنكمـا أن تأتيـا وترتديا ثيـابكمـا بجـوار المدفـأة هـنا فى المطبخ، إن أردتما ذلك، ولكن أسرعا .

[يدخل هاوى نوسم قادماً من الشارع الرئيسى، ويُحضر اللبن إلى باب السيدة ويب].

صباح الخير، يا سيد نوسم. ووه ــ ما أشد البرد!

هــاوى نـــوســم : لقـد انخـفـضت إلى العـاشـرة تحت الصـفـر حيث تقع حظيرتى، يا سيدة ويب.

الســـيــــــدة ويب : تخيـل هـذا! عليك بالملابس الثقيلة لتحميك مـن هـذا البـرد القـارس.

[تأخذ زجاجات اللبن وتدخل وهى ترتعش].

إمـــــــيلـى : *[بعد مجهود]*

إننى لا أجد شريط شعرى الأزرق فى أى مكان، يا أمى.

الســـــــدة ويب : انظرى جيداً وستجدينه، يا عزيزتى. لقد تركته لك على طاولة الزينة ـ هناك حتى ترينه بسهولة. لو كان ثعبانا لعضك.

إمـــــــيلـى : نعم، نعم ...

[تضع يدها على قلبها. ويأتى السيد ويب من الشارع الرئيسى حيث يلتقى بالشرطى وارين. تزداد أصواتهم وحركاتهم حيوية فى هذا الجو اللاذع].

الســـــــيد ويب : صباح الخير، يا بيل.

الشـــــرطى وارين : صباح الخير، يا سيد ويب. لقد بكرت اليوم.

الســـــــيد ويب : نعم، لقد ذهبت إلى كليتى القديمة فى ولاية نيويورك. هل ثمة مشاكل هنا؟

الشـــــرطى وارين : نعم، لقد طلبونى هذا الصباح لانقاذ رجل بولندى ـ كاد يتجمد حتى الموت.

الســـــــيد ويب : يجب أن ننشر هذا الخبر فى الجريدة.

الشـــــرطى وارين : إنه ليس بالخبر الذى يستحق النشر.

إمـــــــيلـى : *[هامسة]*

أبى ...

[ينفض السيد ويب الثلج عن حذائه ويدخل منزله. ويخرج الشرطى وارين من يمين المسرح].

السيد ويب : صباح الخير أيتها الأم.

السيدة ويب : كيف كانت الخطبة، يا تشارلز؟

السيد ويب : أوه، كانت طيبة فيما أظن. واجهتهم ببعض آرائى. ـ هل كل شيء على ما يرام هنا؟

السيدة ويب : نعم، ـ لم يحدث ما يستحق الاهتمام على حد علمي. كان الجو بارداً جداً . يقول هاوى نوسم إن درجة الحرارة انخفضت إلى عشرة تحت الصفر فى ناحية حظيرته.

السيد ويب : على أية حال كان الجو أبرد من ذلك فى كلية هاملتون، حتى إن الطلاب احسوا أن أذانهم قد تجمدت. شيء فى منتهى القسوة. ـ هل بالجريدة أيه أخطاء؟

السيدة ويب : لا، لم الاحظ بها أية أخطاء. القهوة جاهزة عندما تريدها.

[يبدأ صعود السلم].

تشارلز! لا تنس أن اليوم عيد ميلاد إميلى. هل تذكرت ذلك وأحضرت لها هدية؟

السيد ويب : *[وهو يربت بيده على جيبه]*

نعم، لقد أحضرت لها شيئاً هنا.

[يرفع صوته بالنداء لأعلى].

أين فتاتى؟ اين فتاتى صاحبة عيد الميلاد؟

[يخرج من يسار المسرح]

السيدة ويب : لا تشغلها الآن، ياتشارلز. فستراها على الإفطار. إنها بطيئة بما يكفى. هيا أسرعا، يا أولاد! إنها السابعة الآن،

ولا أريد أن أنادى عليكما مرة أخرى.

إمـــــــيـلـى : *[فـى صـوت نـاعـم خـفـيض، يـغلب عليـه الدهشـة أكثـر من الحزن]*

لا أستطيع أن أتحمل هذا. إنهما يفيضان شباباً وجمالاً. لماذا كتب عليهما أن يتقدم بهما السن؟ أمى، إننى هنا. لقد كبرت. وأنا أحبكم جميعاً، وكل شئ ـ ولكننى لا أستطيع أن أشبع نظرى من كل شئ بما يكفى.

[تنظر إلى مدير خشبة المسرح نظرة متساءلة فحواها: «هل بإمكانى أن أدخل؟" يومئ لها بالإيجاب. تعبر من الباب الداخلى إلى المطبخ، على يسار أمها، وبينما تومئ لنا بدخولها الحجرة تتحدث بصوت فتاة فى الثانية عشرة].

صباح الخير يا أمى.

مســـيـــدة ويب : *[تعبر إليها وتضمها وتقبلها، ثم تقول بطريقتها العملية المعهودة]*

والآن ياعزيزتى! عيد ميلاد سعيد جداً لك يا إبنتى وأعياد كثيرة أخرى أسعد. هناك بعض المفاجآت بإنتظارك على منضدة المطبخ.

إمـــــــيـلـى : أوه، ماما! لم يكن هذا ضرورياً.

[تنظر إلى مدير خشبة المسرح نظرة تقطر ألما].

لا أستطيع ـ لا أستطيع.

السـيـدة ويب : *[فى مواجهة الجمهور وهى خلف موقدها]*

ولكن، بغض النظر عن عيد ميلادك، أريدك أن تأكلى طعام إفطارك كله فى تأنى وتمضغيه جيداً. فأنا أريدك أن تكبرى وأن تصبحى فتاة قوية.

تلك الهدية الملفوفة بالورق الأزرق من خالتك كارى. أما اليوم البطاقات البريدية المصورة فأظن أنه بوسعك أن تخمنى من أحضره، لقد وجدته أمام الباب وأنا أحضر اللبن ـ إنه جورج جيبز... لابد أنه قد جاء فى شدة البرد وأحضره فى الصباح الباكر... كان ذلك لطيف منه!

إمـيـلـى : *[لنفسها]*

أوه جورج! لقد نسيت أنه...

السـيـدة ويب : امضغى هذا اللحم المجفف جيداً وببطئ. سيساعدك على الإحساس بالدفئ فى يوم بارد كهذا.

إمـيـلـى : *[بصوت يعكس تعجلاً وإلحاحاً متزايدين]*

أوه، ماما، إنظرى إلى لحظة واحدة فقط كما لو كنت تريننى حقاً. أماه لقد انقضت أربعة عشر عاماً وأنا قد مت. وأنت أصبحت جدة، يا أماه. لقد تزوجت جورج جيبز، يا أماه. ولقد مات وولى أيضاً. فقد انفجرت زائدته وهو فى رحلة إلى معسكر فى شمال كونواى. وكان ذلك شيئاً فظيعاً بالنسبة لنا جميعاً، ـ ألا تذكرين؟ إننا الآن معاً جميعاً، ولكن هذا لن يدوم سوى لحظة ـ أماه،

سنشعر بالسعادة للحظة واحدة ـ انظرى إلى ودعينى أنظر إليك.

السيدة ويب : أما تلك اللفة الصفراء ففيها شيء وجدته بين أشياء جدتك فى غرفة السطح. يمكنك الآن وقد كبرت أن تلبسيه، وأظن أنه سيعجبك.

إميلى : وهذه هديتك أنت، يا أمي. كم هى رائعة حقاً، إنها ما تمنيته تماماً. إنها جميلة!

[تلقى بذراعيها حول عنق أمها، التى تستمر فى اهتمامها بطهى الطعام، ولكن تشعر بالسعادة].

السيدة ويب : كنت أرجو أن تعجبك. لقد بحثت عنها فى كل مكان ولم أجدها. حتى خالتك نورا لم تستطع أن تجدها فى كونكورد. فأرسلت فى طلبها من بوسطن.

[وهى تضحك]

وولى أيضاً أحضر لك شيئاً صنعه بنفسه فى ورشة الأشغال اليدوية بالمدرسة، وهو فخور به جداً. لذا يجب أن تشعريه بأنك سعيدة جداً بتلك الهدية ـ والدك أيضاً أعد لك مفاجأة، وإن كنت لا أعرف ما هى. انتظرى ـ ها هو قادم.

السيد ويب : *[من خارج المسرح]*

أين إبنتى؟ أين إبنتى صاحبة عيد الميلاد؟

إميلى : *[بصوت مرتفع لمدير خشبة المسرح]*

لا أستطيع. لا أستطيع أن استمر. إن الوقت يمضى بسرعة هائلة، وليس لدينا وقت كى ينظر كل منا للآخر.

[تنهار باكية. تخفت الأضواء فى نصف المسرح الأيسر. تختفى السيدة ويب].

لم أكن أدرك. إذن كان كل هذا يحدث ولم نلحظة أبداً. اعدنى إلى قبرى فوق التل. ولكن أولاً: انتظر. دعنى القى نظرة أخرى.

وداعاً، وداعاً أيتها الدُنيا. وداعاً جروفرز كورنرز... وداعاً يا أمى وأبى. وداعاً ساعات الحائط التى تحسب الزمن بدقاتها... وداعاً يا أزهار عباد الشمس التى زرعتها أمى، وطعامنا وقهوتنا، والثياب النظيفة المكوية، والحمامات الدافئة... والنوم والصحيان. أوه، أيتها الأرض! إن روعتك تفوق إدراك أى إنسان!

[تنظر إلى مدير خشبة المسرح وتسأل فجأة والدموع تملأ عينيها].

هل تأتى لأى إنسان أن يدرك روعة الحياة وهو يعيش فيها؟ ـ أن يدركها فى كل دقيقة؟

مدير خشبة المسرح : لا.

[فترة صمت].

ربما تمكن القديسون والشعراء من إدراك ذلك أحياناً.

إمـــــيلى : إننى مستعدة للعودة.

[تعود إلى مقعدها بجوار السيدة جيبز. فترة صمت].

السيدة جيبز : هل كنت سعيدة؟

إميلى : لا... كان يجب أن استمع إليك. ليس البشر سوى حشد من العميان. هذا كل ما فى الأمر.

السيدة جيبز : انظرى، إن السماء تصفو وبدأت النجوم تظهر.

إميلى : أوه، يا سيد ستيمسون، كان ينبغى أن استمع إليهم.

سايمون ستيمسون : *[بعنف متزايد ولهجة لاذعة]*.

أجل. الأن تعرفين. الآن تعرفين كان هذا حالنا ونحن أحياء. نتحرك هنا وهناك فى سحابة من الجهل، نصعد ونهبط ونحن ندوس بأقدامنا مشاعر هؤلاء.... هؤلاء القريبين منا. ننفق الوقت ونضيعه وكأننا سنعيش مليون عام.... نحيا دائماً تحت رحمة رغبة أنانية جارفة من نوع أو آخر، الآن تعرفين ـ هذا هو الوجود الدنيوى السعيد الذى رغبت فى العودة إليه. وجود قوامه الجهل والعمى.

السيدة جيبز : *[وقد تملكها الحماس]*

ليست هذه كل الحقيقة ياسايمون ستيمسون وأنت تعرف ذلك. إميلى، انظرى إلى تلك النجمة. لقد نسيت إسمها.

رجل من الموتى : كان إبنى چويل بحاراً ـ وكان يعرف النجوم كلها. كان يجلس فى شرفة المنزل فى الأمسيات ويذكر اسم كل واحدة منها. نعم، يا سيدى، كان ذلك شيئاً رائعاً!

رجل آخر من الموتى : إن النجمة خير رفيق.

إمـــــرآة من المـوتى : نعم، نعم، ما أطيبها من صحبة.

سايمون ستيمسون : ها هى واحدة منها قد أتت.

المــــــوتــــــى: مـا أغـرب ذلك. لا تأتى واحـدة منهـا عـادة فى مـثل هذا الوقت. يا إلهى!

إمـــــــيـلـى : أمى جيبز، إنه جورج.

السـيـدة جـيـبـز : اهدئى ياعزيزتى. فقط أستريحى أنت.

إمـــــــيـلـى : إنه جورج.

[يدخل جورج من اليسار، ويتقدم نحوهم ببطء].

رجـل مـن المـوتـى : إن إبنى چويل، الذى كان عليماً بالنجوم ـ كان دائماً يقول إن نتفة من الضوء تستغرق ملايين السنين قبل أن تصل إلى الأرض. قد لا يصدق أحد هذا .. ولكن هذا ما كان يقوله .. ملايين السنين.

[ينهار جورج على ركبتيه ويسقط على وجهه مستلقياً عند أقدام إميلى]

إمـــــرآة من المـوتى : يا إلهى! لا يليق به أن يفعل ذلك!

السـيـدة سـومـز : كان يجب أن يكون بالبيت الآن.

إمـــــــيـلـى : أمى جيبز؟

السـيـدة جـيـبـز : نعم، يا إميلى؟

إمـــــــيـلـى : إنهم لا يفهمون، أليس كذلك؟

السـيـدة جـيـبـز : لا يا عزيزتى. إنهم لا يفهمون.

[يظهر مدير خشبة المسرح على يمين المسرح، ويده على

ستارة داكنة اللون، يسحبها ببطء عبر مقدمة المسرح حتى يختفى المشهد.

من بعيد نسمع دقات ساعة خافتة تعلن الوقت].

مدير خشبة المسرح : لقد نام أغلب الناس فى جروفرز كورنرز، ولم يعد بالبلدة إلا أضواء قليلة. فهناك عند المحطة نجد شورتى هوكنز وقد فرغ لتوه من مراقبة القطار المتجه إلى أولبانى وهو يمر بالبلدة. وعند اسطبلات الخيل بعض الساهرين يتحدثون. نعم. لقد بدأت السماء تصفو، و ها هى النجوم تقطع رحلاتها المعهودة عبر السماء. لم يقطع العلماء برأى محدد فى هذا الموضوع بعد، ولكنهم أقرب إلى الإتفاق فى القول بعدم وجود حياة هناك. فقط حجر جيرى ... أو نار. إلا أن نجمنا هذا، فهو يجاهد ويعافر طول الوقت كى يجعل من نفسه شيئاً. وكل هذا الجهد مرهق للغايه، مما يجعل سكانه يرقدون كل ست عشرة ساعة لأخذ قسط من الراحة.

[يملأ ساعته].

الساعة الآن بلغت الحادية عشرة فى جروفرز كورنرز - وآن لكم انتم أيضاً أن تستريحوا. تصبحون على خير.

النهـــايـــة